جَمَاليَّاتُ الصُّورة السَّمْعيَّة فِي شِعْرِ الشَّاب الظَّريف (ت٦٨٨هـ)

أ.م.د. مقداد خليل قاسم الخاتوني

جامعة المَوصل/كليَّة الآداب

الملخص

للصورة السَّمعيَّة دَورٌ مَعْنَويٌّ وَاسِعٌ مُصَاحِبٌ للرؤْيَة الإبْداعيَّة في النَّصِّ الشِّعْرِي، وأهميَّة بِنائيَّة كَبِيْرة لَافِتة؛ فهي رَافِد جَمَاليّ مُهم من رَوَافِد التَّجْرِبَة عند الشَّاعر(الشَّاب الظَّريف)؛ مما جَعلها تَشترك في تَأصيل قيم فنيَّة جَماليَّة كشفًا وتَفْسِيْرًا وامْتَاعًا، وتَفْعِيل عَنَاصر مَوضُوْعِيّة رُؤْيَة ومَضْمونًا ودَلَالةً، فَضلًا عن تَرسِيخ مَواقِف شعريَّة؛ إذْ يُفِيْد الشَّاعِر من المُدْرَك السَّمْعِي، ويَلْجَأ إلى تَوظِيْفه؛ لرَسْم صُور يُذِيْع بها مَعَانيه، ويُصَوِّر أَخْيلته انْطِلَاقًا من وَعِيه التَّام بِأثَر الحِسّ في النَّفْس، وقُوَّتِه في الإبَانَة والبَوح، وإسْهَامِه في تَكْوِينِ الدّلَالَة الشِّعْريَّة، وصَوغِهَا، وتَشْكِيلِهَا، وتَصْويبها، وتَعْميقها، ومَنْحِهَا النُّضْجَ الفَنِّيَّ، ثم تَوجِيْهِها وإرْسَالِهَا؛ لتَصيرَ مُتَاحَةً، ومُؤَثِّرة بِالصُّورة السَّمعيَّة التي تُسْتَقْبَل بِرُؤَاه المُوْضُوعيَّة في مَحَاور ثَلَاثَة هي: الغَزَل والمَدِيْح والحَنِيْن إلى المَكَان.

مدخل

تَحْتَفِظُ الذَّاكِرةُ الشِّعريَّةُ بِدفِق حِسّي تَستحضرُه المُخيلةُ، وتُؤَدِيه بِكَيْفِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ تَقْتَرِبُ فيها المَعْقُولاتُ من المُعْطَياتِ المَحْسُوسةِ بِنَوافذَ جَمَاليَّةٍ اختياريَّةٍ؛ تَتخِذُ التَّكثيفَ صِفَةً لِلالْتِحَاقِ بِطَبِيْعَةِ الشِّعْرِ ومُحَدِدَاتِه، ومُقْتَضَيَاتِ بِنَائِهِ، ويَشْهد الشِّعْرُ تَفَاوتًا في الإفَادَةِ من الحَواسِ الخَمْس: **(البَصريَّة والسَّمْعيَّة والذَّوقيَّة والشَّميَّة واللَّمسيَّة)**، ويَكُون "المَعْنَى في بَعْضِ الحَوَاس قَوِيًّا، ويَضْعفُ في بَعضٍ؛ فَيكون بعضُ النَّاسِ يَشتاق إلى السَّمْاعِ، وبَعْضُهم إلى النَّظرِ، وبَعْضهم إلى المذوقات من المَأكُول والمَشْروب، وبَعْضهم إلَى المشمومات وألوانِ الرَّوائحِ، وبَعضهم إلَى المَلبوساتِ من الثِّيَابِ وغَيرهَا"[١]، ويقول حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ): "فإن المَعَاني التي تَتعلق بإدراك الحسّ هي التي تَدُور عليها مَقاصِدُ الشِّعْر، وتَكُونُ مَذْكورةً فيه لأنْفُسها، والمَعَاني المُتَعَلِّقَة بإدراك الذِّهن ليس لمقاصِد الشِّعْر حَولها مَدَار، وإنَّما تُذكَرُ بِحَسَب التَّبعيَّة المُتَعَلِّقة بإدْرَاك الحسن؛ لتَجْعل أَمْثلة لها"[٢]، ويَرَى السَّكاكي أنَّ "إلف النَّفْسِ مع الحِسِّيَّات أتمّ منه مع العَقْلِيَّات؛ لتَقَدُّم إدْرَاك الحِسّ على إدْرَاكِ العَقْل"[٣]؛ فَتَظلُّ الصُّورَةُ عَالِقةً في الذِّهنِ بِلوَازِمِها، ومَجَالَاتِ تَأْثِيْرِهَا واشْتِغَالِها، وتَفَاصِيْلِها الآنيَّة بما يُحَقِقُ لِلتجْرُبَة الاسْتِجَابَةَ الجَمَاليَّة المَرْجُوة.

ويُبْنَى التَّشْكِيْلُ الحِسّي للصورَة السَّمْعيَّة من مَصَادِر مُتَعَددة تُنتَدَب لَحْظَةَ التَّكْوِيْن النَّصّي، وانْبِثَاق الفَيْضِ الجَمَالي؛ لتُرافِق تَجْرِبَةَ الشَّاعِرِ، وتُغَذِّي مَحَاوِرَها الدّلالِيَّة، وتَرْفد أَخْيلَتِها وتَصُورَاتِها، وتزيْدها تَرابطًا واتساقًا وتَمَاسُكًا بِفَاعليَّة المُدْرَكِ السَّمْعِي ومحوريته؛ إذْ إنَّ "المَسموعات تَجري من السَّمْع مَجرى المُتَلَوِّنَات من العَين"(٤)، وهذا يُؤَشِّرُ على ما يَقْتَرِب من القِيْمَة التَّداوليَّة للمُثير السَّمْعي بِإلْحَاق أَثَرِه بالنَّفْس – وما يَتَحَصَّل عنه – بالمُدْرَك البَصَرِي.

وقد نصَّ القرآن الكريم على تَقْدِيم السَّمْعِ على البَصَر في سِيَاقَاتٍ مُحَدَدة منها قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ مريم: ٣٨ (٥)، وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ السجدة: ٩ (٦)، وهو ما أقرَّه القُدماءُ بالقَولِ: "وإنَّمَا صَارَ البَصَرُ، والسَّمْعُ أَشْرَفَ الحَوَاسِ؛ لأَنَّهُمَا أَخَصُّ بالمَعَارِفِ وأَقْربُ إلى الفَهمِ والتَّمْييزِ، وبِهِمَا تُدْرَكُ أَوائِلَ المَعَارِفِ ومنْهَا يَرتَقِي إلى العُلُومِ"(٧)؛ وهَذا يُؤَسِسُ فَهْمًا تُرَاثِيًّا لِقِيْمَةِ الحَاسّتينِ بطَرْحٍ ناشِئ عن اسْتِقْراءٍ للذائِقَةِ العَربيَّةِ وميُولِهَا في الاسْتِقْبَال؛ تَلَاه تُوْكِيْد المُحْدَثِيْن لِأَثَرِهِمَا في التَّفَاهُم والتَّواصِل والاسْتِيْعَاب؛ إذْ تُعَدُّ "الأُذُنُ عُضْوَ الحِسّ الأكْثَر تَعْقيدًا؛ وهذه دَلَالَة على الأهْميَّة النِّسبيَّة لهذه الحَاسَّة"(٨)؛ لأثَرِها في الاسْتِقْبَال المُبَاشِر لِلصور؛ فإذا كَان المُحِيْطُ "ظلامًا فإنَّ العين لا ترى، ولكنَّ الأُذُنَ تُؤَدِّي مُهِمَّتَها في اللَّيل والنَّهَار والضَّوء والظَّلَام"(٩) مع إثْبَاتِ التَّفاوت في القِيْمَة والفَاعِليَّة والاسْتِحْسَان بِحَسب إمْكَانَات الشَّاعِر، والسِّيَاق ومُتَطَلَّباته، فضلًا عن طَبِيْعَة الذَّائِقَة لَدى المُتَلقين.

ويَبْقَى نَجَاحُ الصُّورةِ الحِسّيَّةِ، ودُخُولها مَنْطَقَةَ الشّعريَّةِ والفَنِ، وانْضِمَامها لدَائِرةِ الاسْتِسَاغةِ والقبولِ مُرتبطًا بِمَدى تأْثِيْرِها، وتَأْمِيْنِها للانْفِعَالِ، ومَنوطًا بالقُدْرةِ الإبْدَاعِيَّة للشاعِرِ، واقْتِدَارِه المَعْرِفِي، ودِرَايَتِه بِحُدُودِ ذَائِقَةِ المُتَلَقين، وأَوْلَوِيَاتِهَا؛ "فالَّذي يُضْفِي على الصُّورة فاعِليَّتها ليس حَيَوتها، ووضُوحها بِقَدر ما تَتميز به هذه الصُّورة من صِفَاتٍ باعتبارها حَدثًا عقليًّا له عَلَائِق خاصة بالإحْسَاسِ؛ فالصُّورة أثرٌ خَلفَهُ الإحْسَاسُ"(١٠) بالأَشْياءِ وصِفَاتِها التي أُعْطِيَتْ رِعَايَة كبيرة، ودَوْرًا واسِعًا في التَّصْوِيْرِ الشِّعْرِيّ، وأَثَره في إدْرَاك المَعْنَى وتَمَثّله(١١)؛ إذْ لا بدَّ للشَّاعِر من تَوَسُّلِ الحَواسِ في التَّصوير؛ "ومَهْمَا يَكُن من أَمْرٍ فإنَّ الصُّورةَ الحِسيَّةَ ذات امْتِدَادَات زَمَنيَّة عميقة غائرةٍ في أطواء الزَّمن، وهي تَحْمِل في تَضَاعِيْفِها غَايَةً واحِدة تَتَركَّز في تَقْدِيم الأَفْكَار مُصَوَّرة عبر الحسّ بما يَتَوافق مع بَاعِث القَولِ ومُقْتضى حالِ المُخَاطَبِ؛ فَكَانَت الصُّورةُ الحِسيَّةُ قَرِيْبَةً من الذَّائِقَةِ الوجْدانِيَّة للإنْسَان في كلِّ عَصْرٍ ومَكَانٍ"(١٢)، ويَعْقُبُ ذلك ويَتَمَاهَى معه أنَّ "الصُّورةَ السَّمْعيَّةَ تَتفاوت من شَاعِر لآخَرَ لِكَوْنِهَا تَتْبَع مَقدرته وبَرَاعَتَهُ وما يُمْلِيْهِ عليه الوَاقِعُ، والأَثر النَّفْسي في اسْتِحضَارِ الصُّورة السَّمْعيَّة"(١٣)؛ الأَمْر الَّذي يَجْعَل حُضُورَها مُسْتَفِيْضًا في مُوضُوعَات بعينها، وقَليلًا في أُخْرى؛ "وبذلك يَتَلقَّى السَّمْعُ من الصُّورةِ أَصْواتِ

الفِكْرة ...؛ فالصُّورة والفكرةُ كُلٌّ لا يَتَجَزَّأ، إذا تَغيَّرَتِ الصُّورة تَغيَّرَتِ الفِكرَةُ. وكذلك الأمْر لو تَغيَّرَتِ الفِكرَةُ تَتَغَيَّر الصُّورة"(١٤).

فالصُّورةُ السَّمْعيَّةُ تَشْكيلٌ يَرْتَكِزُ على حَاسَّةِ السَّمْعِ في تَحْقِيْقِ التَّواصِلِ والاسْتِجَابةِ باسْتِقْبَالِ الحَدَثِ السَّمْعِي، بِخِياراتٍ تَدَاوليَّةٍ مَنتظمةٍ على وفقِ بنية جَمَاليَّة تَتَعْهدُها صِيغٌ وأساليبُ وتراكيبُ؛ تُشْعِرُ بالمَضَامِين في سِيَاقَاتِهَا المُخْتلفةِ؛ لتَزِيْدَ من فَاعِليَّتِها وأَثَرِها ذِي التَّكْثِيْفِ الحِسّي، وتَنْهَضُ الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ على رَوَافِدِ الإدْرَاكِ السَّمْعِي وفَوَاعِلِه الطَّبِيْعِيَّة والكَلَامِيَّة قَولًا واسْتِمَاعًا دَالَّةً على مَعَانٍ، وأَخْيلَةٍ، وأفكارٍ تُسْردُ شِعْرًا، ولا تَقِفُ على الإيْقَاعِ ومُوْسِيقَاه النَّاشِئَة عن أَصْوَاتِ الحُرُوفِ عبر تقاناتٍ شعريَّةٍ لفظيَّةٍ؛ وذلك لعُمُومِيَّتِها في البُنَى الشِّعريَّةِ ذَاتِ المَضْمُون السَّمْعِي وسِوَاهَا، إلَّا إذا تَوافَقَتْ نَظْمًا في البنْيَةِ اللُّغويَّةِ للصورة السَّمْعيَّةِ.

ولَعلَّ اعْتِمَادَ البُعْد الإيقَاعِي، والتَّوافق النَّغَمِي لحُرُوْفِ المَبَاني، وعَدِّها ضِمْن دَائِرَة الصُّوْرَة السَّمْعِيَّة يَبْتَعِد بها عن الخُصُوصِيَّة، ويُوسِّعُ من مَدياتِها لتَوولَ شُمُوليَّة، وتُعَانِي الإرْبَاكَ والفوضَى؛ مما يَجْعَلُها عَصْيَّةً على التَّحْدِيْدِ الإجْرَائِي؛ إذ قد تَتَوافَرُ الصُّورُ الحِسِّيَّةُ جَمِيْعُها على إيْقَاعِ التِّكرارِ والجِنَاسِ والطِّبَاقِ والتَّرصِيعِ وغَيرها.... التي لا يَعُدُّهَا البَحْثُ في ذاتِها من مُؤثِّراتِ الصُّورةِ السَّمْعِيَّةِ ومُقَوِّمَاتِها.

وقد امْتَلَكَتِ الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ حُضُورًا متتابعًا ذَا تَعَدُّد نَسَقِي عند الشَّاعِرِ (الشَّاب الظَّريف)(١٥)؛ الأمْر الَّذي يُسَوِّغ قِراءةَ النَّصِّ الشِّعْرِي وفقًا لمَنْظُورِيْها الإجْرائِيين (الجَمَالِي والمُوضُوعِي) المَحْكُومَين بالحِسِّ والمُقَيَّدَيْن بِدَائِرَته قِراءةً نَقْدِيَّةً وافِيةً تَسْتَشِف مَصَادِرَ انْبِعَاثها ومَسَارَاتِها المَوضُوعيَّة، وبُنَاهَا الجَمَاليَّة، وأَنْسَاقِها المَعْرِفيَّة، ومَسَاقَاتِها الآنيَّة، وخِياراتِهَا اللُّغويَّة؛ لِتَقِفَ عند وظِيْفتين تُؤَدِّيهما الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ في النَّصِّ الشِّعْرِي:

الأولى: جَمَاليَّة تَتركزُ في الإحَاطَةِ بالمَعْنَى وإعْطَائِه صِفَتَي اللَّذة، والإمْتَاع مع التَّأْثِيْر بِمُنْطَلَقَات لُغَويَّةٍ مُتعددةٍ: أسْلوبيَّة، وبَيانيَّة، وإيحائيَّة، وتَركيبيَّة تَحْمِل الدّلَالَات الذِّهْنيَّة وتُخْرِجها بِأُطُرٍ مُوضُوعيَّة جَمَاليَّة وقَوَالِب إبْدَاعِيَّة بمُؤازرة المُدْرَك الحِسّي السَّمْعِي.

الثَّانية: تَوصِيْليَّة إفهاميَّة تَسْتَعِين بالمُثِيرِ الحِسّي السَّمْعِي في تَجْسِيدِ الصُّورِ الذِّهنيَّةِ المُتَخَيَّلة، والأَفْكارِ والأَحْوالِ المُجرَّدةِ وتَقْرِيبها بما يُدَعِّم المَعْنَى الجُزْئِي المُوجَّه، ويُوَطِّده في البنيةِ المَوْضُوعيَّةِ الكُليَّةِ.

وقد بُني البَحْثُ على مَحَاوِر ثَلَاثة مُسْتَقَاة من اسْتِقْرَاء مُتَكَامِلٍ مُعَمَّقٍ ومُتَوَازنٍ لِجَمَالِيَّاتِ الصُّورةِ السَّمْعِيَّةِ في تَجْرِبَةِ الشَّاعِرِ (الشَّاب الظَّرِيْف) تَمَثَّلَت بـ :

أولًا: جَمَاليَّات الصُّورة السَّمْعيَّة والغَزَل (المَرْأة والجمال)

ثانيا: جَمَاليَّات الصُّورة السَّمْعيَّة والمَدِيْح (البَاعِث والأُنْمُوذَج)

ثالثا: جَمَاليَّات الصُّورة السَّمْعيَّة والحَنِيْن إلى المَكَان (الذَّات والانْتِمَاء)

*****

أولًا: جَمَاليات الصُّورة السَّمْعيَّة والغَزَل (المَرْأة والجَمَال)

يَقْتَضِي التَّشْكِيلُ الغَزَلي الَّذي يتَّخِذ من المَرْأة مَوضُوعًا شعريًّا لُغَةً شِعْرِيَّةً مَشْحونَةً بالإدْرَاكِ الحسِّي تَتشربُها العَاطِفةُ، ويواكبُها الوجْدانُ، وتَنْتَظِمُ تَراكِيْبُها وبُنَاها الأسْلُوبيَّة في أُطَرٍ جَمَاليَّةٍ يَغْلِب عليها الطَّابعُ الوَصْفي؛ للإحَاطَة بأَحْوَالِهَا بِتَجْلِيةِ بَواعِثِها وإظْهَار مآلاتها التي تَسْتَدعي تَفْعِيل المُدْرَك الحِسّي السَّمْعي، ليَتَغَلْغَل في التَّكْوِينِ الشِّعْرِي؛ ويَغْدو ثَابِتَةً تَصْوِيْرِيَّة يُقْرَأُ النَّصُّ الشِّعْرِي ضِمْن مَدَيَاتِها؛ لما لها من أثَرٍ في بيانِ العَواطِفِ وتَجْسِيْدِها، وإظْهَارِ المَشَاعِرِ، ورَسْمِهَا، وتَوجيْهِها تِبْعًا لِطَبِيْعة المَوقِفِ الَّذي يُؤَطِّر بِثُنَائِيَّةِ : **(الوصل والفراق)** وقد" اشْتَهَر الشَّابُ الظَّريفُ بأغْزَاله الرَّقيقةِ وكانت تَجْرِبةً حَقيقيَّة في حَيَاتِه"[١٦]، وهي تجربةٌ تقْضِي بِوجُودِ تَفاصِيْل تَتمَحْوَر في جَانِبَينِ **الأوَّل:** ذِهْنِي مُجَرَّدٌ، **والثَّاني:** حِسّي سَمْعِي، والأخير نَعْنِي به إخْرَاجَ المَعْنَى الغَزَلي بالمُؤَثِر **السَّمْعِي** أو مُعَاضَدته، وهو من المُؤَثِراتِ الحِسِّيَّةِ، والمَدَارِكِ التي يَنْصَرفُ إليها مَعْنَى الصُّورة الشِّعريَّة في الغَزَلِ بِوَصْفِه نَمَطًا شِعْرِيًّا، ومَادةً تَعبيريَّةً لها نَسَقها الاجْتِمَاعِي، ومَنْظُورِها النَّفْسِي، وحيِّزها الثَّقافي، بما يُشَكِّل جُزْءًا مُهِمًّا في المَجَال الجَمَالِي الحِسّي للصورَةِ مع تقاناتٍ شِعْرِيَّةٍ أُخْرى حَاضِرَة؛ إذْ إنَّ الشَّاعِرَ" لا يَلْجَأ إلى عَنَاصِر المَوضُوعِ جَمِيعِها، يدْرِجها على نَسَق واحِد في العَمَل الفَنِّي، وإنَّما يَتَخَيَّر منها ما كان أَكْثَرَ تَعْبِيرًا عن دَوَاخِل التَّجْرِبَةِ الجَمَاليَّةِ التي يُعَانِيها أولًا ... فَيَغْدو العُنْصُر المُكوِّن للمَوضُوع أَقْرَب إلى الأيقون الَّذي لا يُحِيل على ذَاتِه، وإنَّما يُشِيرُ إلى تَرَابُطَاتٍ دَلَاليَّةٍ من الكَثْرة والتَّعدد، ما يَجْعَل العُنْصُر الَواحِد أكْثر فَاعِليَّة في القِرَاءَاتِ المُتَوالِيةِ"[١٧]؛ التي تَتجْه فيها الصُّورةُ السَّمعيَّةُ من الجُزْئِيَّةِ إلى الكُلِيَّةِ، ومن الذَّات إلى المَوضُوع، ويَخْرج المَعْنَى بها من العَقْليَّةِ المُجَرَّدةِ إلى الإدْرَاكِ والشُّعُورِ؛ إذ يقول: [١٨]

(بحر الكامل)

١- قَلْبِـــي بِحُـــبِّ سِـــواكُمُ لا يَعْبَـــثُ وَفَمِـــي بِغَيْـــرِ الحُـــبِّ لَـــيسَ يُحـــدِّثُ

٢- وَحَيَـاتِكُم لَا حُلْـتُ عَـنْكمْ فِـي الهَـوَى وإذا حَلَفْـــتُ بِحَقِّكُـــمْ لَا أَحْنُـــثُ[١٩]

٣- يَـــا نَـــازِحِيْنَ وَنَـــازِلِينَ بِمُهْجَتِـــي لِهَـــوَاكُمُ سِـــحرٌ بِقَلْبِـــي يَنْفُـــثُ

٤- إنْ لَـــمْ تَجُـــوْدُوا بِالوَصَـــالِ فَعَلِّلُـــوا بِالوَعْـــدِ قَلْبِـــي ثُـــمّ مِـــنْ بَعْـــدِ انْكُثُـــوا

يُفْصِحُ الشَّاعِرُ عن مَوْقِفٍ شُعُوري ذِي طَابِعٍ اسْتِعْطَافِي حِجَاجِي يَرُومُ فيه الإقْنَاعَ مع الإمْتَاعِ مُتَوسِّلًا صُورًا سَمْعيَّةً تُعْلنُ عن نَفسِهَا باخْتِيَارَاتٍ، وتَرَاكِيْبَ، وأَسَالِيبَ تَحْمِلُ مَضَامِيْنِهَا، وتُحَاكِي صُوَرَها، وتُدَلل على مَعَانِيهَا بالحِوَارِ القَائمِ على المُنَاجَاةِ بِصِفَتِهِ أُسْلوبًا شِعْرِيًّا يَعْتَمِد الفِعْلَ السَّمْعِي نُطقًا واسْتِمَاعًا، ويَجْعَلُ الشَّاعِرُ حَدِيْثَه مَوْقُوفًا على ذِكْرِ من يُحِب؛ فَلَا يَتَكَلَّم بِغَيْرِ

وصْلِهم، ولَا يَلْهَجُ لِسانُهُ بِغَيْر حدِيْثِهم، ويَتَوافرُ النَّصُّ على قِيْمَةٍ تأويليَّةٍ مَسْكُوتٍ عنها تُؤَكِّد عِنَايَتَهُ الفَائِقَةَ بالسَّمْع، ومَعْرِفَتِهِ التَّامة بِفَاعِلِيَّتِه التَّصْوِيْرِيَّةِ؛ إذ جَاء بالصُّوْرةِ السَّمعيَّةِ – بَعْد ذِكر القَلْبِ؛ وهو مَركزُ العَاطِفةِ والوجْدان– دُون غَيْرها من الصُّورِ الحِسِّيَّة؛ فَلَم يَقُل لم أنْظر بِعَيني إلى غَيرِكُم، ولم أشُم بأنْفي طِيبًا غَير طِيْبكم، ولم أَذُق بِلِسَانِي غيرَ ....، ولمْ أَلْمُس بِيَديَّ ... وفي ذلك إيْثَار للسمْعِ على غَيرِه من المَدَارِكِ.

وتَسْتَمرُّ المُؤَكِّدَاتُ السَّمْعِيَّةُ في البيتين (الثَّاني والثَّالث) بالقَسَم: **(وحياتِكُم لا حُلتُ)** والشَّرطِ **(وإذا حَلفْتُ بِحَقِّكُمْ)** والنِّداءِ**(يا نَازِحِينَ ونازِلِينَ)** على التَّوالي تَارِكةً ظِلالًا مَعْنَويَّةً وقِيمًا جَماليَّة في النَّصِّ وتَلقِّيه؛ إذ إنَّ القَسَمَ: (وحياتكم) وفعلَ الشَّرط: (حلفت) والنِّداءَ :**(يا نَازِحِينَ..)** اخْتِيَارَاتٌ سَمْعِيَّةٌ تَدَاوَلها الشَّاعرُ واعيًا مَتْلوَّةً بالوَعْد المَرْجو في البُنْيةِ الحِواريَّةِ للصورةِ السَّمْعِيَّةِ.

وأكثر ما يَطْرقُ مَسْمَعَ العَاشقينَ كَلامُ العَاذلينَ، ولَومُ اللَّائِمِينَ؛ وهي تَجْرِبةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ مُتَغلْغِلةٌ في التُّراثِ الشَّعْري؛ يكون فيها حُضُورُ الصُّورةِ ضِمْنَ حَلْقَاتِ الشِّعْرِ الغَزَلي مِحْوريًّا؛ بِحُكْم تَمَركُز الاتصَال بين طَرَفَيه – الشَّاعر والمَرْأة حَدثًا وحِكَاية عن – حَول حاسَّةٍ واحِدةٍ هي السَّمْعُ عند تَعَذر التَّلَاقِي، والتَّواصليَّة البَصَريَّة، وتحَصلِ الفِرَاق بِفِعْل الوُشَاة والحَاسِدِيْن أو أيّ مَانِع آخر؛ إذ يقول[٢٠]: (بحر الكامل)

١– لامَ العــذُولُ عَلــى هَــواكُمْ جَــاهِلًا مَــا طَــابَ سَــمْعِي بالَّــذي يتحــدَّثُ

٢– وَأعَرتُــــهُ أُذنــــي لِلــــذّةِ ذِكْــــرِكُمْ لا لِلّــــذي بالصَّــــدِّ فِيــــهِ يَبْحَــــثُ

٣– أَنْــــتُمْ أَحِبَّــــائِي وأَنْــــتُمْ غَــــايَتِي إنْ شِــــئْتُمُ حُثُّــــوا الرّكَــــابَ أَوِ البثــــوا

تُهَيمنُ مُنْطَلَقاتُ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ على الأَبْياتِ حَامِلة لِرُؤْيةِ الشَّاعِرِ، ونَاقِلَة لِنَظَرَاتِه نَقْلًا شِعْريًّا جَمَاليًّا لم يَلتَزِم فيه بوَاقِعِيَّةِ القِيْمَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، ولم يُظهِرْ في الوَقْتِ نَفْسِهِ تَقاطُعًا أو اختلافًا ظاهرًا مع طَرْحِها التُّراثِي، مُنْتَقلًا بين المُتَضَادَّاتِ بأسْلُوبٍ شِعْري يُحَقِقُ به حَالَةً شُعُوريَّةً خَاصَّة مُنْتَزعة من فِعْلٍ مُضَادٍ سلْبي على النَّفْسِ؛ إذ يَكُون تَجَلِّي الصُّورة السَّمْعيَّة خَاضِعًا لِمنطق مَحددٍ في تَجْرِبَةِ الشَّاعِرِ**(الشَّاب الظَّريف)**؛ يَجْعَل منها ظَاهِرةً إيْجَابِيَّةً بانْحِرَافٍ عن قَصْديَّةِ المُرسِلِ – العَاذِل عند الاسْتِقبال للمَضْمُون ضِمن دائِرةِ السَّمْعِ بدءًا بالتَّكْمِيلِ الاحْتِرَاسِي في بُنْيَةِ الحَالِ المُفْردة **(جَاهِلًا)** التي تُمَهِّد لانْعِكَاسِ أَثَرِ قِيْمَة اللَّوم حَدثًا سّمْعِيًّا عَنِيْفًا، وتَحَوّلِه تَحَوُّلًا مَنْطِقيًّا بالفَصْل الوَاعِي بين سُلُوك العَذول – الفَاعل للصورة السَّمْعيَّة المُنجز لِحَدَثِها رِوَايَة **(لام في هَوَاكم جاهلًا)** – والشَّاعِر المُتَيَّم الَّذي صَرَّح بِعَدَم اسْتِطَابة سَمْعِهِ لحَدِيْثِ المَلَامِ؛ مع التِذاذِه بِذكر من يُحِب في دَرجِه وأثنائه وآنائه، وهنا يُشْرِكُ المُؤَثِرَ الذَّوْقِي في إنْتَاج مُفَارَقَةٍ شِعْريَّةٍ بِتَرَاسُل بين حَاسَّتي السَّمْعِ والذَّوقِ؛ وكأنَّهُ تَحَمَّل مَرَارةَ كَلَام العَذُول مُكْرهًا؛ لِتَحْصِيل لذَّةٍ سَمْعيَّة

يُدْرِكُها في أُذنَيْه ويَسْتَقْبِلها بِحِسّه، وتَتَملك نَفسَه وجَوَارِحَهُ **(وأعرتُه أُذني للذّةِ ذِكركُمْ)**، ولم تَكُن الإعَارَةُ الشِّعْريَّة هذه تَقَبُّلًا لِدَعْوَاه للصَدِّ وحَثِّهِ للتفْرِيق **(لا لِلّذي بالصَّدِّ فِيهِ يَبْحَثُ)**.

ويُعْلِن عن دَوَاعِي المُفَارَقَة في بنية الصُّورة السَّمْعيَّة: ما طَابَ سَمْعي بِحَدِيْثِهم، ولَكِنني أَعَرْتُهم أذني لِمُتْعة ذِكْركم في كَلَامِهم المَسْمُوع بِتَحْدِيد الغَايَة والإخْبَار عنها بـ **(وأَنْتُمْ غَايَتي)** سَوَاء أَكُنْتُم مُرْتَحِلين وحَاثي الرِّكَائِب عن الدِّيَار أم غيرَ مُرتَحِلين عَنها لابثين فيها، فالأَمرانِ سيَّان في المَنْطِقِ الشِّعْرِي؛ وإن اقْتَضَى ذلك المُفَارَقَة اللَّفظيَّة والمَعْنَويَّة والجَمْعَ بين الأَضْدَاد.

ويُكْثِرُ الشَّاعِرُ من إيرَادِ تقانةِ التَّضَادِّ في بِنيةِ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ، ويَسْتَمِرُ حُضُورُ العَذُولِ ويَتَجَلَّى طَرفًا نَصيًّا وَاقِعيًّا في تَشْكِيْلٍ ثُنَائي، يُعْطي للمُؤثرِ السَّمْعي دَورَه الفَاعِل في تَكْوِيْن المَعْنَى، وإِحْدَاث تَوازنٍ في البِنَاء الكُلي للنصّ، والصُّورةِ السَّمعِيَّةِ الجزئيَّةِ؛ إذ يقول: [٢١] (بحر الطويل)

١- أبــوحُ وأخفــي هكَــذا سُــنَّةَ الهَــوَى وللصَّــبِّ فــي الشَّــكْوَى عَــذُولٌ وعَــاذِرُ

٢- وَلِلْوَجْــدِ مَــا أَنْشَــا لِسَــانِي وَمَــدْمَعِي وَلِلْــوِدِّ مَــا ضَــمَّتْ عَليــه السَّــرَائِرُ

يُؤطِّر الشَّاعِرُ المَعْنَى الشِّعْرِي بِفَاعِليَّة الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ مُوَازِنًا بين سُلُوكَينِ مُتَضادَّين مُتَّبعين في دَائِرة المَرْأة والغَزَل بـ **(أبوح وأخفي)** وهي ثُنائيَّة يتضمَّن طرفُها الأَوَّل مَلمحًا لصورة سمْعيَّة مكْتنزة بطرائق البَوحِ ومحملة بخيارات السَّرد التي تكون لفظيَّة تَصْريحًا بالمُعَانَاة، وهو من دَأب العَاشِقين وسُنَّتِهم في الهَوَى، وتَحْضُر ثنائيَّةُ **(عذول وعاذر)** للصب في شَكْوَاه التي تَرتَكِز على المُدْرَكِ السَّمْعي في التَّعْبِير عمَّا يُكَابِد من الوَجْد باللِّسَانِ والمَدامِعِ.

ويَبْنِي الشَّاعِرُ الصُّورةَ السَّمْعِيَّةَ بانْتِدابِ مُخَاطَبٍ؛ ليُعَبِّر عن خَوَاطِرِه وتَبَارِيح شَوْقِه؛ إذ يقول[٢٢] : (بحر البسيط)

١- للعاشــقين بأحكــامِ الغَــرَامِ رِضَــا فَــلَا تَكُــنْ يــا فَتَــى بالعَــذْلِ مُعْتَرِضَــا

٢- روحــي الفــداءُ لأحْبَــابِي وإن نَقَضُــوا عهــدَ المحِــبِّ الــذي للعَهْــدِ مــا نَقَضَــا

٣- قِــفْ واسْــتَمِعْ سِــيرَةَ الصَّــبِّ الــذي قَتَلُــوا فَمَــاتَ فــي حُــبِّهِمْ لــم يبْلُــغِ الغَرَضَــا

٤- رَأَى فَحــبَّ فَســامَ الوَصْــلَ فــامْتَنَعُوا فَــرامَ صَــبراً فأعْيــا نيْلَــهُ فَقَضَــى

يَنْهض النَّصُّ بِحِوارٍ شِعري مع مُخَاطَبٍ لِيُمَرر بالحَدث السَّمعي بِأن ليس ثَمَّة مَدعاة للعذل مادام الرِّضا بأَحكام الغرام قائم، وهي صورةً سَمْعِيَّةً بين طَرَفَينِ (الشَّاعر= المتكلم)، و(العاذل = الآخر) المُخَاطَب، وقد مَهَّد بها الأَوَّلُ لِصُورةٍ سَمْعيَّةٍ تَخْتَزل تَجْرِبَتَه، وتَرتَبطُ بالبنيةِ السَّمْعِيَّةِ الحِوَارِيَّةِ الأولى ارْتِباطًا نَسقيًّا باتبَاعِ أسْلُوبِ النَّهي **(فَلَا تَكُنْ)** في عَجْز (البيت الأول) :

١- **للعَاشِـــقينَ بأحْكَـــامِ الغَـــرَامِ رِضَـــا فَـــلَا تَكُـــنْ يـــا فَتَـــى بالعَـــذْلِ مُعْتَرِضَـــا**

وبأسْلوب الأمْر الطَّلبي للمخاطَب نَفسِه **(قِفْ واسْتَمِعْ سِيرَةَ)** في (البيت الثَّالث) :

٣- **قِـفْ واسْـتَمِعْ سِـيرَةَ الصَّـبِّ الـذي قَتَلُـوا فمـــاتَ فـــي حُـــبِّهِمِ لـــم يبْلُـــغِ الغَرَضَـــا**

وكأنَّهُ أرَادَ القَول: اترُكِ العَذلَ والاعْتِرَاضَ على أَحْكَامِ الغَرامِ واسْتَمع لِدأبي وسِيرتي؛ فأنا الصَّبُّ المتيَّمُ الَّذي قُتل، ولم يَبْلِغْ مُرَادَهُ، ولم يَصِل إلى مُبْتَغَاه؛ فَكَانَتِ الصُّورةُ السَّمْعِيَّةُ ذات قُدْرَة اخْتِزَالٍ فَائِقَة في نَقْلِ الفِكْرَةِ وعَرْضِها، والتَّعْبِيْر عمَّا يَخْتَلِج في الذِّهْنِ من صُورٍ وأخْيلةٍ.

ويُعَوِّلُ الشَّاعِرُ على الصُّورِ السَّمعيَّةِ في سَرْدِ مَوَاقِفِه مع المرْأةِ، وبَيان أحْوالِه وما يُعانِي؛ فيلجأ "إلى تَوْظِيفِ النِّداءِ كأُسلوبٍ صَوتِي يَدلُّ على مَوقِفٍ واضِحٍ؛ لأنَّهُ يَحْمِلُ خَصَائِصَ صَوْتِيَّة تَمْتَازُ بِالامْتِدَادِ؛ .... فَنَجِدُه يُوْرِد صِيْغَةَ النِّداءِ من خلال تِكْرَارِها، وإتبَاعِها بأَصْواتٍ ونِداءَاتٍ مُتتالِية، لِتَعْزِيزِ المَعنى"[٢٣]؛ إذْ يقول: [٢٤] (بحر المنسرح

١- **أيـــن اللَّيـــالِي وأنْـــتَ عِنْـــدي قَـــد حَـــواكَ طَرفِـــي وأنَـــتَ طـــوعُ يَـــدِي**

٢- **حَيْـــثُ أُنَـــادِي وأَنْـــتَ مُبْتَسِـــمٌ يَـــا عَـــيْنُ رُودِي وَيَـــا شِـــفَاهُ رِدِي**

٣- **وَاليَـــومَ لِـــي أدْمـــعٌ تَسَـــرّبُ فـــي الـــ خَـــدِّ كَـــورقٍ فِـــي كَـــفِّ مُنْتَقِـــدِ**

٤- **لَقَـــد نَـــوى العَـــاذلُ المُســـيءُ بِنـــا بِظَـــاهِرِ النُّصْـــحِ وبَـــاطِنِ الحَسَـــدِ**

تَجْتَمِعُ الصُّورُ السَّمْعيَّةُ في الأَبْياتِ اجْتِمَاعًا تَشْكِيليًّا ذا أبْعَادٍ مَعْنَويَّةٍ تَتعددُ مَصَادِرُها في إظْهَارِ المَعْنَى الغَزَلي من جَانِبٍ، وتَنْطَلِقُ من بَاعِثٍ واحِدٍ هو الشَّوق، ولواعِجه التي اسْتَدَعَتْ تَنويعَ الأَسَالِيبِ في إقَامَةِ الصُّورِ الحِسِّيَّةِ من جَانِبٍ آخرَ.

ويَنْطَلِق الشَّاعِرُ بِلُغَةٍ سَرديَّةٍ تَقومُ على الاسْترجَاعِ الحَدَثِي في اسْتِكْمَال المَوقِف بالارْتِكَاز على المُنَبِّهِ السَّمْعِي وسِيلةً في إظْهار المَعْنَى بـ (أنادي) لمُخَاطَبٍ حَقِيْقِي، ثم النِّدَاء المَجَازِي بـ **(يا عَيْنُ رُودِي)** إجَالة النَّظَر في المَكَانِ بَحثًا عمَّن تَهْوى وتمتَّع بِرُؤْيَتِه، و**(يَا شِفَاهُ رِدِي)** وهي صُوْرَة سَمْعِيَّة بِدَلَالة النِّدَاء ثُمَّ المُنَادى بِصِفَتِه رُكْنًا من أَرْكَانِ جِهَازِ النُّطق، وعُضْوًا من أَعْضَائِهِ (يحضها/الشِّفاه) على الورد في زَمَنِ التَّداني، والقُربِ واللِّقَاءِ؛ مُظْهِرًا حُزْنَهُ بِتَشْبِيه الدَّمْع على الخُدُودِ بالوَرقِ من **(الدَّراهِمِ والدَّنانِير)** في كَفِّ مُنْتَقِد أو صَيْرَفِي، وفي الصُّورةِ تَلَازم بين حَاسَّتَي البَصَرِ، والسَّمْعِ بما يُرَافق البُكاء من انْتِحابٍ، وزَفَرَاتٍ وعَبَراتٍ في المُشَبَّهِ، وما يَنْتُجُ عن حِسَابِ الورقِ/النُّقودِ، وتَحْرِيكِها باليدينِ المُشَبَّه به في زَمَنٍ حَاضِرٍ سِمَته الفِراق والحُزن والبِعَاد والسُّرعة والتَّتابع؛ بِفِعْل العَاذِل المُسيء بالتَّمَايُزِ، والتَّفْرِيقِ بين ظَاهِر قَولِه وباطِنِه؛ وهُنا تَأْخُذُ الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ دَلَالَةً اجْتِمَاعِيَّةً سلبيَّةً على الأَصْلِ؛ وإن كَانَتْ في ظَاهِرِهَا للنُصْحِ،

والإرْشَادِ؛ فَقَامَتِ الدّلالةُ على تَفْعِيلِ المُدْرَكِ السَّمْعِي تَلمِيحًا أو تَصْرِيحًا؛ بِتَوْظِيْف بُنَى لُغَوِيَّةٍ ذات دِلَالَاتٍ سَمْعيَّةٍ بـ **(النِّداء، والتَّشبيه، والمُقابلة)**

ويُنْتَدبُ المُدْرَكُ السَّمْعي لتَجْسِيدِ لَحظَاتِ الوَدَاعِ، ومَوَاقِفِ الفِرَاقِ(ضِمنَ دَائِرةِ الغَزَل)؛ فَتكون الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ الأَدَاةَ الفَاعِلةَ في الصُّورةِ الكَاشفةِ عن مَعانِي الوَجد، وبِناء شِعْرِ الغَزَل وتَلَقيه؛ إذ يقول الشَّاعِرُ: [٢٥] (بحر الكامل)

١- خَافَــتْ مِــنَ الرُّقَبَــاءِ يَــوْمَ وِدَاعِــي لَمَّــا دَعَــا بِنَــوى الأَحِبَّــةِ دَاعِ

٢- قَامَــتْ تَــوَدِّعُنِي بِقَلْــبٍ آمِــنٍ مِمَّــا أَجُــنُّ وَنَــاظِرٍ مُرْتَــاعِ

٣- للهِ رَكــبٌ لــيسَ عَهْــدُ وِدَادِهِــمْ عِنْــدَ المُحِــبِّ وإنْ نَــأَى بِمُضَــاعِ

٤- مَنَحُــوا النَّــواظِرَ بَهْجَــةً وَملاحَــةً وجَنَــتْ حُــداتُهُمُ علــى الأَسْــماعِ

يُصَدَّر البيْتَان **(الأَوَّل والثَّاني)** بالفِعْلَين **(خَافَتْ وقَامَتْ)** المَاضِيين على التَّوالي اللَّذين يَحْمِلان حدثَين مُنجزين يَعْتَليان المَشْهَد الشِّعْرِي تَرَكِيبًا – بإسْنَادِهِمَا للمَرأة المُرْتَحِلة –، ثُمَّ مَعْنَى بانْطِلَاقِ الدِّلَالَاتِ منهُما حَرَكَةً وصُوْرَةً بالخَّوفِ؛ انْفِعَالًا بِمَنْظَرِ الوَدَاعِ، – ومراسِمِه المَسْمُوعَة والمَنْظُوْرَةِ – وما يَتْلوه من افْتِراق وبِعَاد مع حَذَرٍ من أعْين الرّقْباءِ والرَّاصِدين والمُتَرَبِصِين، ثُمَّ القِيَامِ فِعْلًا وحَرَكَةً؛ لإلْقَاء التَّحْيَّةِ والتَّوْدِيعِ، وتَتَحَصَّل الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ باشْتِمالِ المَوقِفِ الشِّعْرِي على الدَّاعِي بالسَّفرِ، وآذان الحُداةِ بالرَّحِيلِ، وزَجْرِهم للإبِلِ، وجَنْيهم على الأَسْمَاع جِنَايةً تَسْتَمِد وَقْعِها السَّلبي من احْتِوَاء المُدْرَكِ السَّمْعِي على الأَثَرِ النَّافِذ في النَّفْسِ؛ بِتَرْدِيد قُرب سير الرَّكائِب – بصوتٍ صَاخبٍ مُجَلجِلٍ–، وجَوْرِهم بِسوقِها وقِيادِها، ولَعلَّ أصْواتِ الحُدَاة بَاتَتْ هي المَسْمُوعَة؛ ليُكتفى بالمُشَاهَدةِ والابْتِهَاجِ بالنَّواظِرِ، وهو أثرٌ للصورةِ البَصَريَّةِ يُقَابِلُه هَلَعٌ، وشَكْوَى وحُزن تَتركُه – في النَّفْسِ – الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ: (بحر الكامل)

٤- مَنَحُــوا النَّــواظِرَ بَهْجَــةً وَملاحَــةً وجَنَــتْ حُــداتُهمْ علــى الأَســماعِ

إذ إنَّ تَجَاورَ الصُّورتين نَظْمًا، فضلًا عن اتِّحادِهما فَضَاءً وسِياقًا؛ يُرَجِحُ الصُّورةَ السَّمعيَّةَ، ويُؤَكِّدُ محوريَّتِها في النَّصّ، وإجْمَالها لما يَخْتلجُ في النَّفْسِ؛ فَلا يَعْدو إيْرادُ الصُّورةِ البصريَّةِ دَورَ تَعْزيزِ الدّلَالة الزَّمنيَّةِ أولًا، وتَوْكِيدِ الحُضُورِ المَكَانِي ثَانيًا، وهما قَيدان في المَشْهدِ مُتاحَان للتواصل، ومُتَقَابِلان؛ يَتْرُك الأَوَّلُ الآني أثَرًا إيْجَابيًّا مُؤَقْتًا تَمْحُوه سلبيَّةُ الثَّاني المُسْتمرةُ؛ بدءًا باخْتِلافِ المَعْنَى الحَدَثِي للفِعْلِ بين الفَاعِلين والمَفعولين في التَّرْكِيبِ النَّحوي للجُمْلَةِ، والتَّضَادِّ في الصَّنِيعِ، والتَّباينِ في الصِّيغَةِ الصَّرْفيَّةِ:

الصَّدر= النِّساء المرتحلات منحن – بالجمع – النَّواظر = سُرورًا وغِبطة (لذة مؤقتة ينتجها البصر)

العجز = الحداة سائقو الرَّكب جنت – بالمفرد – على الأسْمَاع = حُزنًا وتَفجعًا (ألم مُستمرّ يُنتجُهُ السَّمْعُ)

وتأتِي المُفارقَةُ المَعْنَويَّةُ من تَزامنِ الصُّورتينِ الحِسِّيَّتينِ، بانْصِرَافِ صَوتِ الحَادِي إلى السِّلبيَّةِ في التَّلَقِّي؛ والمَعْنَى التَّداولِي لِدَلَالتِهِ بما يُكَرِّسُ من خَواطِرٍ في النُّفُوسِ؛ لارْتِباطِ صُورَتِه بالنَّوى وقَطْعِ الوِصَالِ؛ بِحُكمِ مَهَامِّه في قِيَادَةِ الرَّكْبِ، وسوقِ الإبِلِ، ونَهْرِهَا في الرِّحْلَةِ؛ إذ يقول الشَّاعِرُ **(الشَّاب الظَّريف)**: [٢٦] (بحر الكامل)

١- بِنْـــتُمْ بِكُـــلِّ حَمُولَـــةٍ قَـــدْ أَوْدَعَـــتْ قَلَبًـــا كَمَـــا شَـــاءَ الغَـــرامُ حَمُـــولا

٢- كَـمْ لَفظَـةٍ خَفَّـتْ علـى الحَـادِيَ وَقَـدْ أَلْقَـتْ جَـوىً بَـينَ الضُّـلوعِ ثَقِـيلا

٣- يـا هِنْـدُ لَـمْ تَتْـرُكْ جُفُونُـكِ بـالحِمَى إلَّا جَرِيحًـــا مِنْـــكِ أَوْ مَقْتُـــولا

تُشكِّلُ الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ = **(كَمْ لَفظة خَفَّتْ على الحَادِيَ)** بُؤرةً شِعريَّةً بِدلَالَتِها التَّنبيهيَّةِ، وأثَرِها في نفسِ الشَّاعرِ ووعيه، وتوجِيه دَلَالةِ النَّصِّ؛ إذ اقْتَرَنَتِ البنيةُ الشِّعريَّةُ للصورةِ السَّمْعيَّةِ بـ **(كم التَّكثيريَّة)** لمَهامٍ إيْصَاليَّةٍ تَجْعلُ من المُدْرَكِ الحِسِّي السَّمْعِي، وتِكْرَارِه نُقطةَ إيْقَاظٍ للمَشاعِر، وإيْقَادٍ للشجُونِ، وإيْقَادٍ للأَسى بِظِلالَهِا المَحْسُوسَةِ التي تَكُونُ خَفِيفَةً على الحَادِي يَعْتَادُها، ويُكَرِرُها على الدَّوامِ في حَثِّهِ الإبل على السِّير؛ وإطْرابِها بالإنْشَادِ والتَّرنُّم، والعَزْفِ والأَنْغَامِ، وهي في الوقْتِ نَفْسِهِ ثَقِيْلة على الشَّاعِر، وتُلْقِي جَوى وحُزْنًا بين ضُلُوعِه؛ مما يَدْفَع "إلى الإقْرَارِ بأنَّ انْشِدادِ الشَّاعرِ إلى واقِعِه كان يُمثِّل ذَلِكُم الواقِع بِتَفاصِيلِه المُتَباينة، ومن المُحَتَّمِ أن تَحْتل مُفْرداتُ الواقِعِ والتَّفاصِيلُ اليَومِيَّةُ مَسَاحَةَ القَصَائِد، ولا بُد لسُلْطَانِ الحَوَاسِ أن يَتَفَاعَلَ معها، ولا سِيما حَاسَّة السَّمْع التي دَخَلتْ في نِسيجِ الشِّعْرِ عبر الصُّورةِ السَّمعيَّةِ، فكان لها تأثيرُها الكَبِيرُ في الحيّزِ الإبْدَاعِي، وتأثِير ذلك في المُتلقِي، لا سيما أنَّ الشِّعرَ كان يُنشدُ؛ ولهذا فقد وجَّه الشَّاعر اهْتِمامَه إلى الصُّورة السَّمْعيَّة"[٢٧] التي تَتوسْطُ صُوْرَتَين تَصِف الأُولى بعاد المَرْأة بِذِكْر الحمولِ التي أودَعتِ القَلب حَمولًا صَابرًا؛ يُعاني الصَّبابةَ والاشْتياق، وتَقُومُ الثَّانِية على النِّدَاء للمرأة **(يا هند)** مُصَرِّحًا بجَمَال طرفِها الآسِر، وفِعْله الدَّائِر المُؤَثِر المُتَصَاعِد تَرقيًا بِتَقسِيمِهِ على خِيَارَين من (الجريح إلى القتيل) احْتِواءً للدلَالةِ، وتَمْثِيلًا لها في الذِّهْن بِصِفَتِه امْتِدادًا للصورة السَّمعيَّةِ ومُرشحًا عنها بِالحَدثِ: **(لَمْ تَتْرُكْ)** الَّذي يَنُمَّ عن الرَّحِيلِ وإعْلَانِ الحَادِي في **(البيت الثَّاني)**: (بحر الكامل)

٣- يـا هِنْـدُ لَـمْ تَتْـرُكْ جُفُونُـكِ بـالحِمَى إلَّا جَرِيحًـــا مِنْـــكِ أَوْ مَقْتُـــولا

وتَبقى الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ حاضرةً في رَفدِ المَضامِين الغَزَليَّة، وتَجْلِية المَواقِف؛ فهي وسِيلةُ الشَّاعر **(الشَّاب الظَّريف)** في عَرْض تَفَاصِيل اجْتِماعيَّة تَواجِهه مَظَانُّها، وتُحِيْطُ تَفَاصِيْلُهَا بِسُلُوكِهِ؛ إذ يقول [٢٨]: (بحر الطويل)

١- مَلامُـــكَ لَا رَبـــطٌ لدَيـــهِ وَلَا حَـــلُّ دَمِـي لِلْهَوى إنْ كَـانَ يُرضـي الهَوَى حِـلُّ

٢- إلَيْـكَ وَمَـا مَوَّهْـتَ عَنِّـي فإنَّمـا الـ تَّجَاهُـلُ عِنْـدَ العَـارِفِينَ بِـهِ جَهْـلُ

٣- بِرُوحِـي وأَهْلِـي مَـنْ إذَا عَرضُـوا لَهـا بِـذِكْرِيَ قَالـتْ دُونَـهُ الـرُّوحُ والأَهْـلُ

٤- تحِـدّثَ فـي النَّـادِي بِـذكرِي وَذِكْرِهـا وصـار لأهـلِ الحَـيّ مِـنْ ذِكْرنـا شُـغْلُ

٥- وَمَـا الحُـبَّ إلا أَنْ يُقِلُّـوا ويُكثِـروا بِنَـا وَيَصَـحوُّا فـي الظُّنُـونِ ويعتلُّـوا

يَسْتَقرُّ المُلامُ فِعْلًا حِسيًّا مُنْجزًا ضِمْن دَائِرة المُدْرَك السَّمْعِي بما فيه من تَعْنِيْفٍ بَالِغ الأَثَرِ في النَّفْسِ وتَكْدِيْر للسرائِر؛ وهُنا تُؤدي الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ دَوْرَهَا التَّواصُلِي في البِنيةِ الدّلاليَّةِ للنصّ بتوظيفِ تقاناتٍ شِعريَّةٍ أسْهَمَتْ في بَيَانِ مَاهيَّة الفِعل المَحْسُوسِ المَنْطُوقِ **(الملام)** المُضَاف إلى كَافِ المُخَاطَب الآخر اللَّائم فلا يُبَدِلُ حَدِيْثُهُ وَاقِع تَجْرِبته، ولا يُغْنِي منه شَيْئًا: **(لا ربطٌ لديهِ وَلَا حَلٌّ)**؛ لِأنَّ الشَّاعِرَ مُبَاحُ الدَّم بما يَرتَضِي الهَوى؛ والمَعْنَى يُؤَسِسُ لصورةٍ سَمْعِيَّةٍ أُخْرى تَقومُ على الحِوارِ المُرتبطِ بالعَذل باسْتِعْراضٍ لِطَبِيْعَةِ العَلَاقَةِ بين الشَّاعِرِ والمَرْأةِ، وهي عَلَاقَةٌ تَقُومُ على حِفْظِ كلّ طَرفٍ لِعَهْدِ الآخرِ، ووِدِّهِ في **(البيت الثَّالث)**.

وتُظْهِرُ القِرَاءَةُ النَّقديَّةُ أنَّ الشَّاعِرَ يَدْفعُ بِالصُّورةِ السَّمْعيَّةِ الحواريَّةِ الثَّانيةِ اللَّبسَ عن الصُّورةِ السَّمْعيَّة الأولى: حَدِيث اللَّوم، والعِتَاب الَّذي يَبْدُو ثُنَائيًّا، ولم نَلْحَظْ فيه مُشَاركَةَ المُحِيطِ، وأمَّا الثَّانيةُ فَنَجد فيها هذه المُشَارَكة: (بحر الطويل)

٣- بِرُوحِـي وأَهْلِـي مَـنْ إذَا عَرضُـوا لَهـا بِـذِكْرِي قَالَـتْ دُونَـهُ الـرُّوحُ والأَهْـلُ

٤- تُحِـدّثَ فِـي النَّـادِي بِـذِكرِي وَذِكْرِهـا وَصَـارَ لأهـلِ الحَـيّ مِـنْ ذِكْرنـا شُـغْلُ

تُؤَكِّد الصُّورةُ على الوَفَاء بِالعَهْد، ودَوَام الوِدّ بِدَلَالَة اخْتِيَارات الفِدَاء وكِبر المَنْزِلة **(بِرُوحِي وأَهْلِي)**؛ فالمَرْأة تُفتَدى بأعَزّ ما يَمْلك الشَّاعِرُ: (الرُّوح والأَهل)، وهو وهما بِمُوَازاة فِدَاء مُقَابِل من المرأة **(دُونَهُ الرُّوحُ والأَهْلُ)**، ولعلَّ البؤرةَ الحَدَثِيَّةَ المُحَرّكةَ للمَعاني والمَشَاعِر الأولى كانت الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ المُستهلةُ بالشَّرطِ وجُوابِه **(إذَا عَرضُوا لَهَا بِذِكْرِي قَالتْ..)** لِيَكوْنَا حَدِيثَ النَّادي، وشُغَلَ أهْلِه الشَّاغل، وهو ما يَوافق طَرِيْقَة الشُّعَراء العُذريين ممن يَسْري ذِكرهُم في كلّ نادٍ ومَجْلس.

وتُشِير الاخْتِيَاراتُ السَّمْعيَّةُ : **(بِذِكْرِي قَالتْ.. تحدّثَ ..النَّادِي.. بِذكرِي وَذِكْرِها .. ذِكْرنا شُغْلُ)** إلى فَاعِليَّةِ الإدْرَاكِ السَّمْعي في تَشْكِيلِ المَعَانِي الشِّعريَّةِ في الغَزَلِ عند الشَّاعِرِ وارْتِبَاطِهَا المُبَاشِر بِتَجْرِبَتِه التي تُمثِّل المَرْأةُ رُكْنَهَا الغَالِب المُهَيْمن.

ويُقَدِّم الشَّاعِرُ الصُّورةَ السَّمْعيَّةَ سَبِيْلًا من سُبل التَّواصُلِ مع المَرْأةِ بِطَرْحِ خِيَارَاتِ تَوَاصِلٍ مُتَعَدِدةٍ واقِعيَّةٍ ومُتَخيلةٍ؛ إذ يقول: [٢٩] (بحر الخفيف)

١- جُـــدْ بِوَصْـــلٍ أَو زَوْرَةٍ أَوْ بِوَعْـــدٍ أو كَـــلامٍ أَوْ وَقْفَـــةٍ فِـــي الطَّريـــقِ

٢- أو بإرســـالِكَ السَّـــلامَ مَـــعَ الـــرِّيحِ وَإِلَّا فَبِالخَيـــــالِ الطَّـــــروقِ

٣- أَتمنَّـــاكَ كُلَّمـــا سَـــارَ بَـــرْقٌ لَـــيْسَ مِثْلـــي وَجْـــدًا علـــى التَّحْقِيـــقِ

يَشْكُو الشَّاعِرُ من صُدُودِ المَرْأةِ عبر عنه بفاعليَّة المُدْرَك السَّمْعي بأسْلوب شِعري طلبي **(جُدْ بِوَصْلٍ)**؛ إذ يُفاجِئ المُتلقي بِتكرار حِرفِ العَطفِ **(أو)** خَمسَ مَراتٍ في بيتين مُتتالين، وقَد أسْهَمتِ الاخْتِيارَاتُ السَّمْعيَّةُ – سَواء أكَانَتْ مُبَاشرةً أم ضِمْنيَّةً – في بِناءِ المَعْنَى مُبْتَدئا بالأعلى والأقربِ إلى النَّفْسِ والأَتمّ في تَحصيلِ المُرادِ **(الوصال)** ثم الأَدْنَى والأبْعَد تَتابعًا في سَردِ الأَحْوالِ؛ بِحِرصٍ بائن على الوَصلِ، وخَوفٍ واضِحٍ من القَطِيْعَةِ؛ مُعْتَمِدًا أُسْلُوب "**التَّدلي**"[٣٠] بعد الأَمْرِ المَجازي الدَّالِ على التَّمَنِي المُشْعِرِ بالاسْتِعْطَافِ : (جُد بوصلٍ) وإن لم يكن فَبِزَوْرَةٍ، وإن لم تَكن فَجُد بِوَعْدٍ، وإن تَعَذَّر فَبِكَلامٍ أو وَقْفَةٍ وُصُولًا إلى أدْنَى مَرْغُوبٍ، وأقَلّ مَطْلُوبٍ في **(البيت الثَّاني)** بِإرْسَالِ سَلَامٍ مع الرِّيْح في صَدر البيتِ، ثمَّ الاكْتِفَاء بالطَّيْف زَائِرًا وطَارِقًا في عَجزه، وتَحْمِلُ الدَّائرة المَعْنَويَّة للوصل دلالاتٍ سَمْعِيَّة في تَفاصِيْلِها، وقد تَتضَمَّن **(الزِّيارة = زورة)** تَوَاصُلًا سَمْعيًّا، فضلًا عن البَصَرِي، ويُنْجِز **(الوعد = بوعد)** بتَفَاعُل سَمْعِي لِحُدُوثِ لقاء مُسْتَقْبَلِي، ويُمَثِّل **(الكَلام = المُحَاورة)** الأَخذَ بأطْرَافِ الحَديثِ بصُورةٍ سَمْعِيَّةٍ مُبَاشِرةٍ، ولا تُشْتَرط فيه مُشَارَكةٌ بَصَرِيَّةٌ لمانعٍ طَبِيعي؛ كأن يَكُونَ في زمنٍ لَيْلِي أو حَائلٍ آخرَ مَادي أو اجْتِمَاعِي مَعْنَوي، ولا تَقتَضِي **(الوقفة = المعاينة)** إسهامةً سَمعيَّة (مع إمكانيَّة اشْتِمال الوُقُوف العَابِر في الطَّريق على الحِوار) مما يُبين أهميَّة الصُّورة السَّمْعيَّة بِجَعْل (الوقْفة) من دُونِ الكَلَامِ أقلَّ أَوْلُويَّة من **(الكَلام)** نَفسِه؛ بِوصْفِه صُوْرَةً لفظيَّةً مُؤثرةً؛ الأَمرُ الَّذي يُؤَكِّدُ تَفوّقَ المُدْرَكِ السَّمْعِي على المُدْرَكِ البَصَرِي في الاسْتِجَابةِ والظَّفرِ بِودِّ المَرْأةِ المَأْمُول.

ويَأْخُذُ المَعْنَى مَنْحًى جَمَاليًّا مُتَخَيَّلًا في **(البيت الثَّاني)** باللُّجُوء إلى الطَّبِيعَةِ وَسِيْلَةً لنَقلِ **(السَّلام = التَّحيَّة)**؛ للتعْبِيرِ عن يَأس من تَحقق الوَصْلِ على الحَقِيْقَةِ بالمُسْتَوياتِ المُتَعَاقِبةِ جَميعًا؛ فَرَجعَ الشَّاعِرُ يُمَني النَّفْسَ بِصُورٍ تَرسِمُها المُخيلةُ؛ بإرْسالِ السَّلَامِ مع الرِّيْحِ؛ فيكونَ الوسطُ النَّاقِلُ للصورةِ السَّمْعيَّةِ (السَّلام) مَاديًّا، وهو الرِّيح، ثُمَّ تَنْتَفي المَاديَّةُ في عَجزِ البيت؛ بإرسالِ السَّلَامِ بالخَيالِ الطَّرُوقِ، وتلقي التَّحيَّة شُعُورِيًّا وذِهنيًّا، وهنا يدوّنُ الشَّاعرُ حَيرتَه، وعَدم يَقِينه بالوِصَالِ مع المَرْأةِ، مُتنقلًا بين أَشْكَالِ اتِّصَالٍ مُتَفَاوِتةٍ بِصُوَرٍ سَمْعِيَّةٍ مُبَاشِرةٍ، وغيرِ مُبَاشِرةٍ يَقُومُ عليها المَعْنَى الغَزَلي:

جُدْ بِوَصْلٍ

أَو زَوْرَةٍ

أَوْ بِوَعْدٍ

أو كلامٍ

أو وقفةٍ في الطريقِ

أو بالسلامَ مع الرّيح

أو بالخيال الطروق

وتَقْتَرِبُ دلالةُ الصُّورةِ في **(البيت الثَّالث)** من دلالةِ الصُّورِ السَّمْعيَّة في البيتين الأَوَّل والثَّاني اقْتِرابًا مَعْنَويًّا ونفسيًّا؛ بالتَّصْرِيْحِ بِأُمْنِيَة اللِّقاء المُتَكَرِرة والمُتَجَدِدة **(أَتمنَّاكَ كُلَّما)** بِتَجدد الظَّاهرة الطَّبيعيَّة (سار برق) انْسِجَامًا مع الأَمْرِ الدَّال على التَّمَني لِمَأْمُوْلَاتٍ مُتَعَذِّرَة : يا لَيْتك تَجود بِوَصْلٍ أو بِزوْرَةٍ أو بوعد أو بِكَلَام أو بِوَقْفَةٍ أو بِسَلَامٍ مع الرِّيْحِ، وإن لم يَكُنْ ففي الخَيَالِ الطَّرُوق؛ لأنني أتَمناك كلَّمَا سَارَ برقٌ؛ وهذا لُجُوء إلى الظَّاهرة الطَّبيعيَّة لتَحُققها، وتَرْدَاد حُدوثها في الوَاقِع والشِّعر؛ "وهنا تَظْهَرُ بَراعةُ الشَّاعِر في تَجَاوزِه ظَاهِر مَادَّتِه الحِسِّيَّةِ إلى ما وَرَاءَها من الرُّمُوز والمَشَاعِر؛ ليَصْنَعَ منها تَركِيبًا فنيًّا زَاخرًا بالمَشَاعرِ والأَحَاسِيسِ"[٣١] يَتبع السِّياقَ، ويُعَالِج مُجَرَّدَاتِ المَوْقِف الرَّاهِن.

ويَسْتَقِي الشَّاعِرُ(الشَّاب الظَّريف) الصُّورةَ السَّمْعِيَّةَ من مَصَادِرَ مُتَعَدِدَةٍ تُسْهِم في إِخْرَاجِ لَوْحَاتٍ شِعْرِيَّة يَسُودُهَا الحُزْنُ ويَتَعَهْدُهَا الشَّوقُ مع الإمعان بِبَهَاء المَرْأة وجَمَالها وحُسْنها؛ إذ يقول[٣٢]: (بحر البسيط)

١- يـا طَـائِرًا نـاحَ إذ طَـاحَ الحمـامُ بـهِ هَيَّجْـتَ لِلصـبِّ يَـوْمَ الحُـزْنِ أَحْزَانَـا

٢- فَبـاتَ بالبـانِ مَشْـغُوفًا وَلَـيْسَ بِـهِ شـوقٍ إليـه ولَكِـنْ مَـنْ حَكَـى البانـا

٣- يـا مُخْجِـلَ الغُصْـنِ إذْ يَهْتَـزُّ ناعِمُـهُ لِينًـا وَيُوسِـعُ مَـنْ نَهْـوَاهُ إليانـا

٤- لَـوْلَاكَ مَـا هَاجَـتِ الوَرْقَـاء لِـي فَنَنًـا وَلَا أَرِقْـتُ لِظَبْـيٍ بَـاتَ وَسْـنانا

يَستَقِي الشَّاعرُ الصُّورَ السَّمْعيَّةَ من الطَّبِيْعَة بِتَشْكِيل جَمَالي يَشْهَد تَغَلغُلًا بنائيًّا لمحسوساتها في النَّصّ بنية وتركيبًا ومُعجَمًا، وتُمثل الصُّورة السَّمْعيَّة مَصْدرَ شُجُون للشاعِر، وبَاعثًا من بَوَاعِث الحُزن بِذِكْر الاخْتِيَار (ناح) الَّذي بَدا مُؤَثرًا ومُشْعِرًا بِالحُزْنِ؛ فالشَّاعِر "عندما يكونُ حزينًا يرى كلَّ شيء حَوله حزينًا وكلَّ صوتٍ ولو كان جَمِيْلًا صوت نواحٍ وحزنٍ"[٣٣]، وهنا تَكْمنُ فاعليَّةُ الصُّورةِ السَّمْعِيَّةِ، وتَظْهَرُ قُدْرَتُهَا على التَّكيّفِ مع السِّياقِ والاسْتِجَابَةِ للتكْثِيف الشِّعْرِي؛ فالنِّداءُ والنُّواحُ والاخْتِياران: (طاح، وهيج) تُشْعِر جَمِيْعُهَا بِتَأْثِيرِ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ، وإسْهَامِها في بناءِ المُعَادَلةِ النَّفْسيَّةِ، ورَسْمِ المُعَانَاةِ والآلَامِ فضلًا عن الأَشْجَانِ والأَحْزَانِ.

ويَسْتَمِرُّ حُضورُ النِّدَاءِ أسْلوبًا ذَا مَدَيَاتٍ تَصْوِيْرِيَّةٍ حِسِّيَّةٍ نَافِذَةٍ، ودلَالاتٍ سَمْعِيَّةٍ فَاعِلةٍ، مُتَدَاخلًا مع سَرد مَوَاطِنَ جَمَالِ المَرْأَةِ: (حَكَى البَان.... يا مُخْجل الغُصنَ) مُوظِّفًا الضَّمِير

الدَّال على المَرْأةِ مُشْعِرًا بِعِلَّةِ هَياجِه واضْطِرَابِه، وتَأثرِه بل وانْفِعَالِه بالصُّورةِ السَّمْعيَّةِ النَّاشِئَةِ من : **(صوت: الطَّائر= الحمام = الورقاء)** بـ : (بحر البسيط)

٤- لـولاك مـا هاجـتِ الورقـاء لـي فننـا وَلَا أَرِقْـتُ لِظَبْـيٍ بـاتَ وَسْـنانا

فالفِكْرَةُ في النَّصّ قَائِمةٌ على أنَّ التَّعلق بالمَرأة أوَّلًا، والتَّعْبير عن العَاطِفة والشُّعُور الوجْدانِي ثانيًا؛ كَانا البَاعِثَ الأَسَاس لِبناَء الصُّورَة السَّمْعيَّة التي مَثَّلتِ الأَداةَ الأولى في الإفْصَاحِ عن المَشاعِرِ والأَحَاسِيسِ، وتَقييدِهَا وتَقْدِيمِهَا، ثُمَّ نَقْلِها من دَائِرَة العَقْل، والذِّهْن إلى حَيز الحِسّ والإدْرَاك بالتَّلقي الجَمَالي للصُّورة السَّمْعِيَّة.

ويَعتمدُ التَّشكِيل الشِّعرِي لِمَعاني الوِصالِ صُورًا سَمْعيَّةً مُستَمدةً من مَواقِفِ الحَربِ ومَشاهِدِ الحَمَاسَةِ، والبُطولةِ بالتَّحويلِ المُعجمي، وتَطْوِيعِ الدِّلَالَاتِ، وتَكْييفِها لتَحْصِيلِ مُبَالغاتٍ تُؤدي قِيمًا جَمَاليَّة تُجسِّد قوةَ الرَّابِطَةِ بين الشَّاعِرِ والمَرْأة؛ إذ يقول[٣٤]: (بحر الخفيف)

١- دونَ نَيْـلِ الوِصَـالِ مِنْـكَ خُطُـوبٌ كُلَّمـا خِلْتُهـا تهُـونُ تهُـولُ

٢- لِلسُّـيوفِ الحـدادِ ضَـرْبٌ وللسُّمـ ـرِ طِعَـانٌ وَلِلجِيـادِ صَـهِيْلُ

٣- أَيْـنَ رَاحُ الوِصـالِ بَـلْ أَيْـنَ كَـانَ الـ ـهَجْـرُ بـل كَيْـفَ لِلـدنوّ سَـبيلُ

يُعاني الشَّاعرُ الهجرانَ، ويَشْكو الفِراقَ، ويُنْجِزُ المَضْمُونَ الغَزَلي بِلُغَةٍ شِعْرِيَّةٍ تَسْتَوْعِب الانْفِعَالاتِ بأَنساقٍ لُغَوِيَّةٍ تُسْهِم الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ في بَلورتِها، وتَقْوِيةِ بُعدِها التَّوْصِيْلي، وطَابعها التَّصْوِيْرِي الإفهامي بِدْءا بِاعْتِمَادِ الجُمَلِ الاسْميَّةِ التي تَتَقدَّم فيها الأَخْبَارُ:**(دونَ نيلِ الوِصالِ، لِلسُّيوفِ الحدادِ، للسُّمرِ، لِلجِيادِ)** على الأَسْمَاءِ: **(خُطُوبٌ، ضَرْبٌ، طِعانٌ، صَهِيلُ)** على التَّوالي في نَسَقٍ شِعْرِي مُتَنَاظِر في التَّرْكِيْبِ والدَّائرةِ المَوْضُوْعِيَّةِ، وله وَحْدَة نَظْمِيَّة تَتجه نَحو بُؤرةٍ انفعاليَّةٍ تَنْتَمي إلى مَنْطَقةِ تَقْتَربُ مِن عَالَمِ المَرْأةِ بِتَحْدِيد ما يُرافِق صِلَتها بالشَّاعِرِ من شَدائِد، ومَصَاعِبَ، ومَتاعِبَ، ومَوانِعَ، وحَوَائِل؛ اقْتَضَت جَمِيعًا الدَّفْعَ إلى اتِّبَاع فِكْرَة تَقْتَربُ من بَيَان المُعَانَاةِ بِالقِيَاسِ والتَّكْييفِ بأسْلُوبٍ شِعْرِي يَلتزمُ في **(البيت الثَّاني)** الصُّورةَ السَّمْعيَّةَ التي تَنْبَثِق عن الدَّال **(خُطوب)** في إشَارَةٍ إلى تَوَافُق بين بَأْسِ الحَربِ وضَوَائِقِها، ومَشَاقِ نَيل وِصَالِ المَرْأةِ وشَدائِدِه مُمثلةً بِمَجْمُوعَة صُوَرٍ سَمْعِيَّةٍ مُتَجَاوِرَةٍ صاخِبةٍ؛ تَسْتَدْعِي اضْطِرَابًا، وضَجِيجًا، وإرْباكًا : **(ضرب السُّيوف، وطعن الرِّماح / السَّمْر، وصَهيل الجِياد)** يَرْسِم بها الشَّاعرُ حيرتَهُ، وعَظيمَ ما يُعانِي في اسْتِحْصَالِ الوِصَالِ مع المَرْأةِ والقُرْبِ منها.

*****

ثانيا: جَمَاليَّات الصُّورة السَّمْعيَّة والمَدِيْح (البَاعِث والأُنْمُوذَج)

يَرْفِدُ المُدْرَكُ السَّمْعِي المَضَامِين المَدحيَّةَ بِصُورٍ تَرتَبِطُ بِبِنْيَتِها الجَمَاليَّة؛ إذْ يَلحَظ المُتلقي انتقالًا واعيًا من قِيْمَةٍ حِسيَّةٍ إلى أُخْرى تَارِكًا هذا الانْتِقَال أثرًا مَعْنَويًّا، وظِلَالًا نَفْسيَّةً تُؤَكِّد فاعليَّةَ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ، وعُضويتها في التَّشكيلِ المَدحِي، ونَسقِه الإبلاغي، وبُعْدِه الانْفِعَالي التَّذوقِي، "وقد تَضمَّنت كلُّها صُورًا سَمْعِيَّة، عبر تَشْكِيلَات مُخْتَلِفة بما يوجِبه المَوقِف إزاء المَمْدُوْح، لما تَمْتَلِكه تِلك الأَلفاظ من أصْواتٍ مُخْتَلِفَة تَدخل في نَسِيجِ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ"[٣٥]؛ بما يُعَزز فَاعِليةَ تَجربةِ المَديحِ؛ لأنَّ اعْتِمَاد المُؤَثِر السَّمْعِي في رَسْمِ الصُّورِ – بِصِفَتِه جُزءًا فَاعِلًا في البنية الكُليَّة للنصَّ الشِّعْرِي – يَتَطَلَّب قُدْرَةً إبْدَاعِيَّة عَالية، ومَوهِبة كَبيرة، وسِعة اطْلاع، وثَراء مَعْرفي؛ نَظرًا لِتعدد المَصَادِر المُشَكِّلة له، وقِلة انْتِشَارِها إذا ما قِيستْ بِالصُّورةِ البَصَرِيَّةِ التي تَوالَت في تَكون جُلِّ المَعَاني المَدحيَّة؛ مما جَعَلها في تَدَاخلٍ نَظْمِي مع البنى السَّمْعيَّة أو في تَجاورٍ مَعْنَويي وأسلُوبِي معها.

وتُسَجِّلُ الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ مشاركَةً جَمَاليَّةً في قَصَائِد المَديحِ عند الشَّاعِرِ (الشَّاب الظَّريف)؛ فَنَجِده يَعْتَدُّ بها في تَدْوِين القِيَمِ المَدْحيَّةِ وتَجْسِيْدِها؛ إذ يقول[٣٦]: **(بحر الكامل)**

١- **مَلِـــكٌ إذا حَـــدَّثْتَ عَـــنْ إحْسَـــانِهِ حَـــدَّثْتَ عَـــنْ مُبْـــدِي النَّـــدَى وَمُعِيـــدِهِ**

٢- **سَـــادَ المُلُـــوْكَ بِفَضْـــلِهِ وَبِنَفْسِـــهِ والغُـــرَّ مِـــنْ آبَائِـــهِ وجُـــدُودِهِ**

٣- **وإذا تَرَنَّمَـــتِ الـــرُّواةُ بِمَدْحِـــهِ وثَنَائِـــه اهْتَـــزَّتْ مَعَـــاطِفُ جُـــودِهِ**

٤- **لأَبِـــي المَعَـــالِي رَاحَـــةٌ وَكَّافَـــةٌ[٣٧] كَالغَيْـــثِ يَـــومَ بُرُوْقِـــهِ ورُعُـــودِهِ**

٥- **صَـــبٌ بِتَحْصِـــيلِ الثَّنَـــاءِ وَجَمْعِـــهِ كَلِـــفٌ بِبَـــذْلِ المَـــالِ أَوْ تَبْدِيـــدِهِ**

٦- **مَـــا زَالَ يَشْـــمُلُ حَاسِـــدِيهِ نَوَالُـــهُ حَتَّـــى أَقَـــرَّ بِـــهِ لِسَـــانُ حَسُـــودِهِ**

تَسْتَغْرِقُ الصُّورُ السَّمْعيَّةُ مَسَاحَةً شِعْريَّةً مُمْتدةً بِشَكْلٍ تَتَابُعِي في النَّصَّ؛ فَلا يَكَاد يَخْلُو بيتٌ من دَلَالةٍ مَدحيَّة سواء أكانت جزئيَّة أم كليَّة؛ مُؤَطَرة بِمُؤَثِرٍ سَمْعِي ذِي فَاعليَّةٍ تُسْتَكْمَلُ عِندها القِيْمَةُ المُرْسَلةُ؛ إذْ يَعِي الشَّاعِرُ مَيْلَ المَمْدُوْحِ للثنَاءِ، وتَهَافُتَهُ لاسْتِقْبَال الإطْرَاءِ، ويُطْرَبُ بِذِكْرِ الصِّفَاتِ، وتِعْدادِ الشَّمَائل والخِصَالِ، ويُدْرِكُ في الوَقْتِ نَفْسِهِ أنَّ الصُّورةَ السَّمْعيَّةَ ذات قَابِليَّةٍ اسْتِيْعَابيَّةٍ كَبِيرةٍ تسعُ المَعَانِي العَقليَّةَ وتَحْتَوِيْهَا، وتُوجِهها وِجْهَةً حِسيَّة تَجْعَلُها مُتَاحَةً، وتَمْتَلكُ قُدْرَةً نُفوذٍ في النَّفْسِ كَبِيرة، واسْتِحسانًا في التَّلقِي عَاليًا، ويُلاحَظُ تَعددُ مَصَادر الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ المَدحيَّةِ، وانْتِقالِها بين مَوارِد ومُسَبباتٍ ذات فَواعِل مُختَلِفة تَسْهم في تَشْكِيل المَدلُولاتِ بأسْلوبٍ سردي قائم على الحِوَارِ سَبيلًا لإيْراد الدّلالة لمُخَاطَبٍ وَاقِعِي أو مُفْتَرض؛ ولَعلَّ الْتِزام الشَّرط المتحقق بـ (إذا) يُشْعِر بِحَقِيْقَة الصِّفة المَدحيَّة التي أعْلنَتْ عنها الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ بِفِعلِ الكَلَامِ وحَرَكَتِهِ في الإفْشاءِ والإظْهارِ: **(بحر الكامل)**

١- مَلِـــكٌ إذا حَـــدَّثْتَ عَـــنْ إحْســـانِهِ حَـــدَّثْتَ عَـــنْ مُبْـــدِي النَّـــدَى وَمُعيـــدِهِ

فالصُّورةُ مُشكلة للنصّ ونَاقِلة للمَعْنَ مُبَينة للفِكرةِ في الوَقْتِ نَفسِهِ؛ لأنَّ الحَديثَ/الفعلَ الكَلامي المُنجز بِصِفَتِهِ حَدثًا لفِعلِ الشَّرطِ، وجَوابِه جَاء فِعلًاّ سَمْعِيًا يَقتَضي الإصْغَاءَ؛ لتَشكِيلِ صُورةِ الإحْسَانِ المَدحيَّةِ في الذِّهْنِ.

وتَظْهرُ المُبَالغةُ بِتَوظِيفِ تقَانَةِ التَّرقِي بالانْتِقَالِ من فَضلِ الإحسانِ إلى ما هو أَبْلَغ وأعَمّ بـ **(مُبْدِي النَّدَى وَمُعيدِهِ)**؛ لاجْتماع الضِّدين في بِنْيةِ المُضَافِ إليه مع اتفَاقِهما في الدّلَالَةِ الإيْجَابِيَّةِ على الاسْتغراقِ في الجُودِ والكَرمِ والتَّزيّدِ في العَطَاءِ والبَذْلِ.

ويَسْتَمِرُّ أسلوبُ الشَّرْطِ في (البيت الثَّالث) بالعَطْفِ، ويَتَحَوَّل الفِعْلُ السَّرْدِي من الخِطَاب والحُضُور إلى الغِيابِ، وَيُؤَدي الاخْتِيارُ السَّمْعِي (ترنَّم) المُسْندُ إلى (تاء التَّأنيث) دلالةً محوريَّةً في النَّصّ المَدحي تُشِيرُ إلى اتسَاعِ المَعْنى، وتُومِئ بِخُرُوجِه من الفَضَاء المُحَدِدِ للصورةِ السَّمْعيَّةِ الأولى التي تَعتمدُ الحوارَ الآني المُباشِرَ إلى فَضَاءٍ أكْثَرَ اتِّساعًا؛ يُخْطِر بِشُهرة المَمْدُوْح، وذِيُوع صِيْتِه؛ بِفاعِلٍ للصورةِ السَّمْعيَّةِ مَخْصُوصٍ (الرُّواة) قِيْمَة ووجود حقيقيين ارْتبطًا تُراثيًّا بالبُعدين: الثَّقافِي والمَعْرفي؛ "ليَستَمدَ مَعَانِيه من التَّجْربةِ الحِسِّيَّةِ، بحيث تَرتَسِم صُورُ المَحْسُوْسَاتِ في خيالِه، ثم يَستَطيع خَيَالُه أن يقيمَ ضُرُوبَ العَلاقَاتِ بينها ... بِقُوة التَّخْيلِ والمُلَاحَظَةِ والتَّجْرِبةِ"[٣٨]، ويَتَّصلُ تَمركزه في النَّصّ بإيْحَاءاتٍ مُتَعددةٍ ذاتِ دِفقٍ تَأويلِي مُمْتَدٍ يَشمل المَمْدُوْح والمُتلقي بِنُقْطةِ التِقَاءٍ فَاعِلةٍ، ومُسْتحْكِمةٍ هي الرِّسَالة السَّمْعيَّة المَادَّة المُستَهدفة بالرِّوايةِ المترنم بها إنْشَادًا – بالثَّنَاءِ والإطْرَاءِ – تَهْتَز له مَعَاطِفُ الجُودِ طَربًا، وتَتَوقُ إليه النُّفُوسُ طَلَبًا والتِماسًا.

وتأتي الطَّبِيْعَةُ أُسًّا مَاديًّا للصورةِ السَّمْعيَّةِ مُشَبَّهًا به في (البيت الرَّابع) ذا مَهام تَقريبيَّة تُخْرِجُ الدّلالةَ المَدحيَّةَ للكرم من دَائرةِ العَقلِ والذِّهْنِ إلى مَنْطَقَةِ الإدْرَاكِ والحِسّ؛ بإتباع حَركَة اليد وانتقالها علوًّا وعطاءً – عند البَذل– بالرَّوَاعِد، والبُرُوقِ المُصَاحِبةِ للغَيثِ والمُوافِقَةِ لِحَدَثِهِ في الطَّبِيْعَةِ: **(بحر الكامل)**

٤- لأَبِـــي المَعَـــالِي رَاحَـــةٌ وَكَّافَـــةٌ كالغيـــثِ يـــومَ بروقِـــهِ ورُعُـــودِهِ

وتَقييدُ الغيثِ (المُشبَّه به) بِظاهِرتين تَنْتَمِيان لمُدْرَكينِ مُخْتلفينِ سَمْعِي وبَصَرِي؛ يُؤَكِّد سَير الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ بأَدَائِها للمَعْنَى بِمُوَازَاةِ الصُّورَةِ البَصَريَّةِ.

ويلجأ الشَّاعرُ إلى الاسْتِعَانةِ بالمُفَارَقَةِ القَائِمَةِ على المُدْرَكِ السَّمْعِي؛ لتَحْقِيقِ الارْتِقاءِ بالمَعْنَى؛ وذلك بِجَعلِ عَطَاءِ المَمْدُوْحِ وهِباتِه ونَوالِه جَميعًا تَمتلك سِمَةَ العُمُومِ والشُّمُولِ في (البيت الأَخير)، وهو طَرحٌ مَهدَ له بالمُقابَلة بين صُوْرَتِينِ للمَمدوح تَتواصَلَان بِعَلَاقةٍ عَكْسِيَّة مَفَادها: أنَّ جمعَ الثَّناءِ وحِيازَتِه مُؤَداهُ تَبديد المَالِ؛ وهو ما نَصَّ عليه قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ) بِأن يحدثَ

"عن تَركيبِ الشَّجاعة مع السَّخَاء: الإتِلافُ والإخْلافُ"[٣٩]؛ الأَمرُ الَّذي جَعَلَ ألسِنَةَ الحَاسِدينَ تُقِرُّ إقْرارًا مُلْزِمًا بِدَوَامِ كَرمِه وشُمُولِه؛ إذ "إنَّ أهمَّ ما يُميز الشَّاعِرَ عن غَيرِهِ هو القُدْرةُ التَّخيليَّةُ التي تَجْعله قَادِرًا على جَعْلِ الأشْيَاءِ المُتَبَاينةِ والعَناصِرِ والمُتَبَاعِدةِ في عَلَاقَاتٍ مُتَناسِقَةٍ تُزيلُ التَّباينَ والتَّباعُدَ، وتَخْلُقُ الانْسِجَامَ والوَحْدَةَ "[٤٠] في النَّصّ.

ويُؤَدي الشَّاعِرُ بالصُّورةِ السَّمْعيَّةِ المَعانيَ المَدْحِيَّةَ مُفِيدًا من احْتِوائِها الكُلي للمَضَامِين بالإنْشَادِ وفَاعِليَّتِه في وَعِي المَمْدُوْحِ وذَائِقَتِه؛ إذ يقول[٤١]: **(بحر الكامل)**

١- أَمّـــا الزَّمـــانُ فأَنْـــتَ دُرَّةُ عِقْـــدِهِ وسِـــنانُ صـــعدتِهِ وبيـــتُ قصـــيدِهِ

٢- والشِّـعْرُ أَنْـتَ أَحَـقُّ مَـنْ يَهْتَـزُّ عِنْـ دَ سَـــماعِهِ وَيَمِيـــلُ عِنْـــدَ نَشـــيدِهِ

٣- فاســلمْ لِمُلْــكٍ بــل لمجــدِ أنــتَ فــي تأْسِيسِـــــهِ واللهُ فـــــي تَأْبِيـــــدِهِ

يُصَرِّح النَّصُّ بِماهيَّةِ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ وطَبِيْعَتِها، ويُشْعِرُ بِمَدياتِها الاسْتِيْعَابِيَّةِ في احْتواء التَّجربةِ المَدحيَّةِ استقبالًا حِسَّيًا سَمْعيًّا في الإنْشَادِ؛ فالشَّاعرُ يُثْنِي على المَمْدُوْحِ ثَنَاءً شِعْرِيًّا بِمَضْمونٍ ذِهْني يَرتَبِطُ بالثَّقافَةِ، واتساعِ الأُفقِ المَعْرِفي، وامْتلاك نَوافذ سَمعيّة ومَهاراتٍ فِكريَّة في تأملِ الأشعارِ وتَذوقها، وقُدرة فائِقة على اسْتِكْنَاه دَلَالَاتِها، واسْتِحْضَارِ صُوَرِها، ويُقَرِرُ في الوَقْتِ نَفْسِهِ عُلوَّ ذَائِقَتِهِ في تَلقِي الشِّعْرِ؛ بإيْرَادِ مُرَشِّحَاتِ البُنْيةِ السَّمْعيَّةِ للصورةِ باخْتِيارِ المُضَارِعين **(يَهْتَزُّ ويَمِيلُ)**؛ للدلَالةِ على الحَاضِر، وإمكانيَّة امْتِدادِ الحَدَثِ إلى المُسْتَقْبلِ، والفِعْلان المَدحِيَّان مُقْيْدانِ بالظَّرفِ (عند) المُضَافِ إلى الاخْتِيَارَينِ السَّمْعِيين (سَماع ونَشيد) المُضَافين إلى ضَمِيرِ (الهاء) العَائِد إلى الشِّعْرِ، وهو أسُّ الصُّورة ومَادَتها.

وتَرتَكِزُ البِنيةُ السَّمْعيَّةُ المَدحِيَّةُ في النَّصّ على تقانةِ التَّرقِي بِطَرَفِي الصُّورةِ، وكَأنَّه قَررَ أنَّ المَمْدُوْحَ يَهْتَزُّ طَربًا وارْتِياحًا بِسَمَاعِ الشِّعْرِ، ويَمِيلُ ثمَالَةً عند إنْشَادِه؛ فالاهْتزازُ أَدْنَى من المَيَلَان وسَابِق عليه، والإنْشَادُ حَدثٌ أرْقَى من السَّمْاعِ، وقد يَكُونُ مُصَاحِبًا له؛ لتَوَافرِ الأَوَّلِ على القَصْديَّةِ؛ والتَّحْسِينِ في النُّطقِ والتَّنْغيمِ في الأَدَاءِ بالمُقْتَضَى التَّأوِيْلي للصورةِ السَّمعيَّةِ في النَّصّ المَدْحِي:

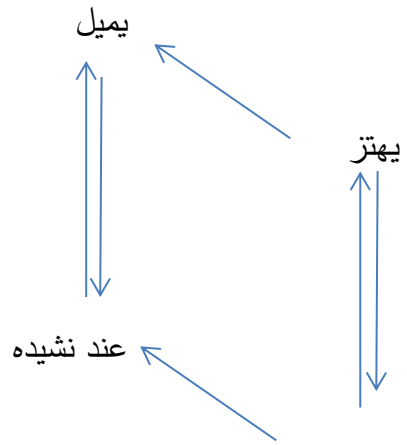

عند سَمَاعِه

ويَعْتَمِدُ **(البيتُ الثَّاني)** المُدْرَكَ السَّمْعِي المَسْبُوق بِصُورٍ بَصَريَّةٍ تَنصُّ على المَمْدُوْحِ، وتُعَيّنه بالضَّمِير (أنت) تَعيينًا شِعْريًّا؛ لتُثْبِت تَفَرُّدَه، وتَكَامُلَ صِفَاتِه بالتَّرْكِيْبِ الاسْتِعَارِي (بيت القّصيد) دلالةً على"التَّفْضِيل والتَّخْصِيْصِ"[٤٢] مُمَهِّدًا بها لِصُوْرةٍ سَمعيَّةٍ تُصَرِّح بانْفِعَالِ المَمْدُوْحِ بالإخبارِ أنَّه حَقِيْقٌ بأن يهتزَّ عند سَمَاعِ الشِّعْرِ، ويَمِيْل طَرَبًا عند نَشِيدِهِ، وتَذْهَبُ الرُّؤيةُ النَّقديَّةُ إلى أنَّ نَسَقَ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ يَسْمحُ بِتَمْرِيْرِ إشَارَاتٍ نَفْعِيَّةٍ ذَاتِيَّةٍ بِتَوجيه المَمْدُوْحِ للحَدَثِ، ودَفْعِه نَحو الإثَارةِ، وتَحْصِيْلِ عِنايته بالصُّورةِ؛ لأنَّها تُحققُ له النَّشْوَةَ والإطرابَ؛ لِقِيْمَتِها وبَوَاعِثِها وبَرَاعَة تَشْكِيلها، وفي ذلك كلِّهِ إيْحاءٌ باعْتدادِ الشَّاعِرِ بِذاتِه، وامْتِلَاكِه مَوْهِبةً مُؤثِّرَةً تَسْتلزِمُ الإشَارَةَ والإشَادة.

وارْتَبَطَتِ الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ عند الشَّاعرِ (الشَّاب الظَّريف) بالشَّجاعَةِ والحَمَاسَةِ الحَربِ؛ فكَانت ذات حضورٍ مَعْنَوي، وجَمَالِي في تَصْويرِ المَوقِفِ الحَربِي بِتَدَاخُلٍ مع اللَّوْنِ والحَرَكَة؛ إذ يقول[٤٣]: (بحر البسيط)

١- ومَعْشَرٍ لَمْ تَزلْ في الحَرْبِ بِيضُهُمُ حُمرَ الخُدود وَمَا مِنْ شأنِهَا الخَجَلُ

٢- إذا انتضَوْهَا بروقًا ردَّها سُحُبًا بِهَا دمٌ سالَ مِنها عارضٌ هَطِلُ

٣- يُثني حديث الوَغَى أَعْطَافَهُم طَرَبًا كَأنَّ ذِكرَ المَنَايا بينهمْ غَزَلُ

٤- كَم نَارِ حَرْبٍ بِهِمْ شَبَّتْ وَهُمْ سُحبٌ وأرضِ قَومٍ بِهِم فاضتْ وهم شُعَلُ

تُؤَدي الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ وظيفتين في النَّصّ المَدحِي، الأولى: دَلاليَّة، والثَّانية: جَمَاليَّة، تَأخذ الأوْلى مَنْحَى اسْتِدلَاليًّا بِحُكْم تَوَسطِ المُدْرَكِ السَّمْعِي صُورتيْنِ حَركيتين بَصَريتين؛ إذ تَسَيَّد المُدْرَكُ البَصَرِي البيتين (الأوَّل والثَّاني) إظهارًا لِشجاعةِ المَمْدُوْحين، ودوامِ بأسِهم: لم تَزل في الحَربِ بيضُهم / سيوفُهم المُضرجةُ كأنَّها خدودٌ حمرٌ من دون خَجَل.

وفي الشَّرطِ (إذا انتضوها) كانتِ السّيوفُ سُحبًا تُمْطِرُ دَمًا مُبالغة لم يَجِد لها دَعمًا ومُؤازرةً إلَّا في (البيت الثَّالث) الَّذي يَسْرِدُ فيه ولعَ المَمْدُوْحين، وشَغَفِهم بالحَربِ ببنيةٍ جَمَاليَّة سَمْعيَّة؛ تُؤَكِّد اهْتِزازَهم لِذِكْر الحَربِ، ومَيَلانِهم طَربًا لِحَدِيثِها؛ وهو ما يُقرُّ بِحُسنِ بَلائِهم فيها، كيف لا وهم يَجدون في حَديْثِها (الأنسَ، والمُتعةَ، والمُلاطَفةَ)؛ وكَأنَّهُ حَديثُ غَزلٍ وسَمرٍ تَعْشَقُه نفُوسُهم وتَسْتَسِيْغُه أسْمَاعُهم: (بحر البسيط)

٣- يُثني حَديث الوغى أعطَافهُم طَربا كَأنَّ ذِكرَ المَنَايا بينهمْ غَزَلُ

وهذا مَدعاة لقَبُولِ المُفَارَقَةِ المَعْنَويَّةِ في (البيت الرابع) بَتَصْويرِهم بأنَّهم سحبُ حربٍ إن شَبَّت نارها بأرْضِهم مُدَافِعينَ عن دِيارِهم، ويَفِيضونَ ماءً يَملأ أرْضَ عَدوّهم، وهم في الوقتِ نَفسِه نارٌ وهَّاجة مُسْتعرة.

ويُشِير الشَّاعِرُ بالصُّورِ السَّمْعيَّةِ إلى جُودِ المَمْدُوْح، وانْتِشَارِ صِيْتِه، وتَواتِرِ ذِكْرِه وشُهْرَتِه بين النَّاسِ ببنيةٍ جَمَاليَّة؛ إذ يقول(٤٤): (بحر البسيط)

١- كَـانُوا أَتَـمَّ الـوَرَى جُـودًا وإنْ صَـمَتُوا وأعظـم النَّـاسِ أحلامًـا وإن جهلـوا

٢- زَالُـوا فـأُوْدِعَ فِـي الأَسْـمَاعِ ذِكْـرُهُمُ مَحَاسِـنًا أُوْدِعتهـا قَبْلَهَـا المُقَـلُ

٣- امْـدحْ وقـلْ فـي معانيـهِ فَقَـد كَرُمَـتْ لا يَحْسُـنُ القَـوْلُ حَتَّـى يُحسـنُ العَمَـلُ

يُفَعِّل الشَّاعِرُ (الشَّاب الظَّريف) المُدْرَكَ السَّمْعي في بِنَاءِ القِيَمِ المَدحيَّةِ للكَرم والحلم ونَجاز الوعْدِ وإرسَالِها؛ مُعتمدًا الرِّوَايَةَ والدِّرَايَةَ؛ إذْ يَرْوي الشَّمَائلَ، ويُثْنِي على الخِصَال، ويَسْتَعْرضُ المَحَامدَ؛ باسْتِرْجَاعٍ شِعْرِي للمَاضِي بالفِعْل النَّاقِصِ (كان) المُسْنَدِ إلى (واو الجَمَاعة) للإخبارِ عن تَمامِ جُودِهم وتَفُوقِه وإن صَمَتوا، ثُمَّ عَظَمةِ أحْلامِهم وإن جَهِلوا، ويَأْتِي الشَّاعِرُ بالأَضْدَادِ مُبَالَغةً في المَعْنَى؛ إذْ جَعَلَ جُودَ المَمْدُوْحين نَاطِقًا مُسْمِعًا يَتَكلم وإن سَكَتوا.

وقَرر في (**البيت الثَّاني**) غِيابَ المَمْدُوحِينَ – المُشار إليه بالصَّمْتِ – بالفِعْل زَالوا على صِيغةِ الجَمْعِ متلوًّا بالفِعْل (أُودع) بِصِيغَةِ المَبْني للمَجْهول اتِّسَاعًا في الدّلَالَةِ، واسْتِغْراقًا في القِيْمَةِ المُعبرِ عنها بالصُّورةِ السَّمْعيَّةِ؛ المُتَمَثِّلةِ بِتِرْدَادِ ذِكْرِهم على الأَسْماعِ حَتَّى اعْتَادَتْهُ وأَلِفَتْه، وهي كِناية عن فَضِلهم، ومَزِيد إطْرَائِهم في الشِّعْرِ والمَجَالِسِ، والأَنْدية؛ لمَحَاسِنِهم وجَمَال صَنِيْعِهم، وهو إجْمَال للكَرم والحلم المُتَدَاولين بالصُّورة السَّمْعيَّة، ويَتَوَافَر (**البيت الثَّالث**): (بحر البسيط)

٣- امْـدحْ وقـلْ فـي معانيـهِ فَقَـد كَرُمَـتْ لا يَحْسُـنُ القَـوْلُ حَتَّـى يُحسـنُ العَمَـلُ

على تَحولين، الأوَّل: نَظْمِي تَحَوَّل فيه أُسْلُوبُ المَدْحِ ونَسَقُهُ من الجَمْعِ (**كَانُوا....**) إلى الإفْرَاد (**في معانِيهِ**)، والثَّاني: زّمني بالأَمْرين (امْدحْ وقلْ) اللَّذين يَفْتَرِضَان مُخَاطبًا حَاضِرًا، وهما اخْتيارَان يَلتحِقَان بالبِنية السَّمْعيَّة للنصّ؛ بارْتِبَاطِ المَدحِ والقَوْلِ بالذِّكرِ والأَسْمَاعِ، واقْتِرَان الكَرَمِ والحلمِ بالمَعَانِي، وهي بُنَى شِعريَّةٍ ذات مَحْمُولاتٍ مَدحِيَّة تَتصلُ جَمِيْعُها بالصُّورةِ الحِسيَّةِ السَّمْعيَّةِ.

ويَبْقَى حُضُورُ قِيْمَةِ الجُودِ مُتَواصِلًا في قَصَائِدِ الشَّاعِرِ المَدحيَّةِ التي يَسْتَرْسِلُ في تَصْوِيْرِها مُسْتَدْعِيًا الصُّورة السَّمْعيَّة سَبِيلًا لِلإبَانةِ الشِّعريَّةِ والتَّشْوِيقِ الجَمَالِي؛ إذ يقول(٤٥):(بحر البسيط)

١- **يَجُــودُ حتَّــى يَمــلَّ النّــاسُ أَنْعُمَــهُ وَلِــيْسَ يُدركُــهُ مــن بَــذْلِها الملــلُ**

٢- **سَــادَتْ وَسَــارَتْ بِهَــا الأَفْــوَاهُ مُعْلِنَــةً فَقَــدْ غَــدَتْ مَــثَلًا يَغْــدُو بِهَــا المَثَــلُ**

٣- **بَنَــى لأبنائِــه بَيْــتَ العُــلا وثَــوى فِيمــا بَنَــاهُ لَــه آبَــاؤهُ الأُوَلُ**

يُبنى النَّصُّ على قِيمةِ الجُود بؤرةً مِحوريَّةً تَركَتْ فيه ظِلَالَها المَعْنَويَّة، وحَددتْ مَدياتِه التَّداوليَّة؛ إذْ يُصَرِّح بملازمتها للممدوح سُلوكًا وسَجِيَّة سَئِمها النَّاسُ فيه؛ لتِكْرَار بَذلِه حَتَّى أَحْدَثَتْ أثَرًا إيْجَابيًّا في الآخَرِين: **(يَجُود حَتَّى يَملَّ النّاسُ أَنْعُمَهُ)** وهو مَدًى وَصَلَه جُوْدُ المَمْدُوْح لم تُدرِكُه المِللُ والأَقْوامُ على المُبَالغةِ، وهو وَصْفٌ اسْتَدعَى تَدليْلًا حِسّيًّا يُقَرِّبُ المَعَانِي الذِّهْنيَّةِ، ويُجَسِّدُ دَلَالَاتِها المُجَرَّدة؛ فأتَى في **(البيت الثَّاني)** بِجُمْلَتين فِعْلِيَّتِيْنِ مُتَتَابِعَتَيْنِ بينهما تَوَافِقٌ نَغَمِي إيْقَاعِي في البِنيةِ التَّرْكِيبيَّةِ للصورةِ السَّمْعِيَّةِ بـ **(سَادَتْ وَسَارَتْ)**: (بحر البسيط)

٢- **سَــادَتْ وَسَــارَتْ بِهَــا الأَفْــوَاهُ مُعْلِنَــةً فَقَــدْ غَــدَتْ مَــثَلًا يَغْــدُو بِهَــا المَثَــلُ**

المَتلوتِين بِشُبْهِ الجُمْلَة المَبنيَّةِ من (الباء والضَّمير= بها) الدَّالَةِ على الجُودِ، وما يَتَحَصَّلُ عنه من دَلَالَاتٍ، ولَعلَّ إسْنَادَ الحَدَثَيْنِ المُتَجَانِسين :**(سَادَتْ وَسَارَتْ)** للأفْوَاه يُعْلِن عن اعْتِمَادِ دَالٍّ حِسّي سَمْعِي تَنْبَثِقُ عنه قِيْمَةٌ مَدحيَّةٌ ذِهْنيَّةٌ تَذْهَبُ بالقِرَاءةِ النَّقديَّةِ إلى مَدَيَاتٍ أَوْسَع بِحُكْمِ الاتِّصَالِ النَّسَقِي والعَلاقَةِ السَّببيَّةِ بين (السِّيادةِ/الغَلبةِ، والسَّيرِ/الانْدفاعِ)؛ فَالأُوْلَى كانت بَاعِثًا في الثَّانية، أمَّا من حيث الإسْناد فالصُّورةُ السَّمْعيَّةُ تُوحي بِسِيَادَتِها، وتَمَكُّنِهَا في الوَعِي؛ لتَسير بها الأَفْوَاه، وتُعْلنها صُورةً سَمعيَّة مَقِيْسَةً على تَمَكُّن المَمْدُوْح وسِيَادَتِه؛ فَغَدا مَضربًا للأمثال، وهي صِفاتٌ بَنَت له بيتَ العُلا والسُّؤددِ امْتِدادًا لآبَائِه الأُوَل ذُريَّة بَعْضُهَا من بَعْضٍ.

ويُجَاوِرُ الشَّاعرُ بين صُورِ المَمْدُوْح التي أَطْلَق فيها الصِّفات، وبيَّنَ الخِصَالَ التي يُسْهِمُ المُدْرَك السَّمْعِي في إخْرَاجِها بِبنيةٍ شِعْريَّةٍ جَمَاليَّةٍ؛ إذْ يقول[٤٦]: (بحر الوافر)

١- **فَتًــى فيــهِ المَعَــارِفُ والمَعَــالي جمَعْــنَ لــه العِــرَاب إلــى الغــراب**

٢- **فَيُطْــربُ حــين يَضْــرِب فــي خُطُــوب وَيُعْــربُ حــينَ يُغْــرِبُ فِــي خِطَــاب**

٣- **أَمُوْضِــحَ ثغْــرِ غَــامِض كُــل عِلْــمٍ إذَا مَــا عَنْــهُ أُغْلِــقَ كُــلُّ بــابِ**

يَحْوي **(البيتُ الثَّاني)** على صُورتِيْن سَمْعِيَّتَين مُرْتَبِطَتِيْن بـ**(البيت الأَوَّل)** نظمًا ودلالة، تُوجزُ الأولى – ببراعةٍ نَظميَّةٍ – شَجَاعَةَ المَمْدُوْحِ وإقْدَامَه – في الحَربِ – بِصدر البيت بِبنيةٍ اعْتَمَدَتِ الفِعْلَينِ السَّمْعِيين المُتَرَابِطَيْنِ نَظْمًا ومَعْنًى: **(يضرب فيطرب)**، يَتَوَسَطُهُما الظَّرفُ الدَّالُ على الزَّمَنِ **(حين)** أوَان الحَدثِ الحَربِي المُعْلَنِ بِشِبْه الجُملةِ **(في خُطوب) وهي الشَّدائدُ** التي انْبَرى لها المَمْدُوْحُ؛ المُتَعَلِّقةُ بالجُمْلةِ الفِعْلِيَّةِ المُضَارِعَةِ: **(يضرب)**؛ فالصُّورةُ سَمْعِيَّةٌ

بِخِياراتِها، وتَرَاكِيْبِهَا التي مَنَحَتْهَا بُعدًا جَمَاليًّا مُؤَثِّرًا؛ جَعَلَتْ ضَرْبَ المَمْدُوْح في الخُطُوبِ يُطْرِبُ المَسَامِع، ويُحَقِقُ المُتْعة الحِسَّيَّةَ في تَلَقي المَدْلُولِ الذِّهْنِي للشجَاعَةِ بالمُدْرَك السَّمْعِي؛ وفي ذلك إيْثَارٌ للسمْعِ في الصُّورةِ على البَصَرِ في إكمالِ المَعْنَى وإخْراجِه.

وتَقُومُ الصُّوْرَةُ على المُفَارَقَةِ بِمُؤَدَّيَاتِ الضَّرْب في الخُطُوبِ التي جَعَلها تُطْرِبُ مع احْتِوَائِهَا بالضَّرُورَة على ما يُفَارِق الإطْرَاب ويَتَقَابَل معه في الحَدَثِ والوَاقِعِ.

وتَتصِلُ الصُّورة السَّمْعيَّة في عجزِ **(البيتِ الثَّاني)** بالصُّورةِ السَّمْعيَّةِ في صَدْرِه اتِّصَالًا نظميًّا بالعَطْف بـ (الواو)، فضلًا عن تقانَتِي (الجِنَاس)، و(رَدِّ العَجز على الصَّدر) في: (خُطُوب وخِطَاب):

٢- فَيُطْـرِبُ حـين يَضْـرِب فـي خُطُـوب وَيُغْـرِبُ حِـينَ يُغْـرِبُ فِـي خِطَـاب

ممَّا جَعَلَ التَّجَاوِرَ المَعْنَوي حَاضِرًا بين القِيمَتَينِ المُصَوَّرتيْنِ بالبِنيةِ السَّمْعيَّةِ؛ إذْ يُغْرِبُ المَمْدُوْح، ويُفْصِحُ في الخِطَابِ دَلالَةً على سَلَامةِ مَنْطِقه، وقُوَّةِ حُجَّتِه في القَولِ، وهي صُوْرَةٌ سَمْعِيَّة تُصَوِّر صِفَةً مَدحِيَّةً لها انْطِبَاعٌ في النَّفْسِ، ووَقْعٌ في الأَسْمَاعِ؛ لِتَتَكامَل صُوَرُ الإطْرَاء والإشَادَة، وتَنضِج مَعَاني الثَّنَاء، وتَتَوَافَق بارْتِبَاطِ الإطْرَابِ في الخُطُوبِ بالعَوالِي في صَدر **(البيت الأَوَّل)** والمَعَارفِ وإيْضَاح العُلوم التي أغْلِقَتْ دُونَها الأَبْوَابُ بالإعْرابِ، وفَصَلَ الخِطَابِ في عَجْزِه، وهي بُنَى شِعْرِيَّة حِسِّيَّة تَمَرْكَزَتْ حَولَ المُدْرَكِ السَّمْعِي.

وتأخُذُ الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ في المَديْحِ منحًى سَرديًّا تَتصدره اخْتِيَاراتُ الزَّمَنِ المَاضِي اسْترجَاعًا، وتَحْكي مَواقِفَ بينيَّةٍ تَجْمَع بين الشَّاعِرِ والمَمْدُوْحِ؛ تَقومُ على البُنَى الجَمَاليَّة السَّمْعيَّة؛ إذ يقول [٤٧]:**(بحر الكامل)**

١- وَجَلَسْـتُ بَـيْنَ يَـدَيْ أَجَـلِّ زَمَانِـهِ قَـدرًا وواحِـدِ عصـرِهِ وفريْـدِهِ

٢- وأَفَـدْتُ سَـمْعِي مِـنْ فُكَاهَـةِ مُمْتِـعِ الـ ـأَلْفَـاظِ مَقْبُـولِ الكَـلَامِ مُفِيْـدِهِ

٣- فصـدرتُ عـنْ صـدقاتِ مَشْـكُورِ النَـدَى والجُـودِ مَشْـكُورِ الفِعَـالِ حَمِيْـدِهِ

٤- فَلَـو أننـي خُيِّـرتُ مِـنْ دهـري المُنـى لاخْتَـرْتُ طُـولَ بَقَائِـهِ وَخُلُـوْدِهِ

يُؤَطِّرُ النَّصَّ الطَّابعُ الاجتماعيّ باختياراتٍ يتضمَّنُ حَدَثُهَا مُلازمةً الشَّاعِرِ للمَمدُوحِ في مَجْلِسِه حُضُورًا حَقِيقيًّا شَكَّلتْهُ اللُّغَةُ الشِّعريَّةُ بأُطُرٍ جَمَاليَّةٍ تَشْتَرِكُ في تَكْوِيْنِها الصُّوْرَةُ السَّمْعيَّةُ بِتَرَكْزِها ضِمنًا في **(البيت الأَوَّل)** الَّذي أجْمَل الفِكْرةَ الشِّعْرِيَّةَ بـ **(وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَجلِّ زَمَانِهِ)** وإفادَتِها العُمُومَ، وقد تُحْمَلُ على التَّعْبِيرِ الكِنَائِي في الإبَانَةِ عن: (القُربِ والمُرافقةِ والاصْطحابِ)، وهو حَدَثٌ تَكرر، وتَجَددَ بِدَلَالَةِ: **(وأَفَدْتُ سَمْعِي)** في **(البيت الثَّاني)** الَّذي ضَمَّ الإدْرَاكَ الحِسِّي

السَّمْعي الَّذي كَوَّن جزئيَّةً مَدْحيَّةً مُنْبعثةً عن مَسَاق: **(جَلَسْتُ)** في المَعْنَيين (القَرِيْب والبَعِيْد) في التَّركِيبِ الشِّعْرِي، وهو اخْتيارٌ يَتَوافَرُ بالضَّرُورةِ على مرشحاتٍ لمَدارِك سَمعيَّةٍ مُتعَددةٍ سَكَتَ عن بَعْضها، واحْتَفظ بها النَّسقُ المَدحي؛ الَّذي صَرَّح بأحَد جوانِبها ذي المَحْمُولَات الاجْتِمَاعيَّة بـ(الفكاهةِ) والبَشاشَةِ والبِشرِ صُورًا ذات مَردُودَاتٍ سَمْعيَّةٍ مُدْرَكَةٍ؛ وهو انْتخابٌ نَابِهٌ، وإجْرَاء حَاذقٌ يُجلي جَانِبًا خُلقيًّا في المَمْدُوْح ابْتَعَدَ فيه عن الأَجْوَاءِ الرَّسْميَّة والبُنُود المُتَّبعةِ في المَديْحِ.

ولَعلَّ تَقْييدَ الفكاهَةِ يُقْصِيها عن الابْتِذَالِ والانْتِهَاكِ؛ بِصفَتِهما شَكلينِ من أشْكَالِها بِتَرابُط نَظْمِي مُمتدٍ اسْتَغرقَ **(البيت الثَّاني)** كَامِلًا فيه تَمكنٌ لُغَوي واقْتِدارٌ شِعْرِي؛ جَعَلَا الفكَاهَةَ فكاهةَ شَخصٍ مُمتعٍ في ألفَاظِهِ بلا رَتَابَة أو مَلٍ، وفكَاهَةَ مَقْبُولِ الكَلامِ مُفِيدة؛ فَلا يَعْتَري جُلاسَ المَمْدوحِ السَّأَمُ؛ مُحَقِّقًا بذلك للصورةِ السَّمْعيَّةِ المُتعةَ الإيجابيَّةَ المُشوِّقةَ بِتَصْييرِها هَادِفةً مُفِيدةً مَسْمَعًا ولفظًا وكَلامًا.

ويُعَزز الشَّاعِرُ الدِّلَالَاتِ السَّمْعيَّةَ في البيتينِ (الثَّالث والرابع) بالإشَارةِ إلى كَرمِ المَمْدُوْحِ، وعَطائِه مُسْتعملًا الزَّمَنَ المَاضِي بـ **(فصدرتُ، وخُيِّرتُ)** المُسْنَدَيْن إلى (تاء الفاعل) للمُتَكلم السَّارد/الشَّاعَر مع إمْكَانيَّةِ احْتِوَائِهِمَا القِيْمَة السَّمْعيَّة في **(مشكورِ النَّدَى، وَمَشْكُورِ الفِعَالِ)** على صِيْغَةِ (اسم المفعول) التي تَقْضي بِأن يَكُونَ نَدَاهُ مشكورًا، وفِعَالُه حَمِيدةً مَشْكُورة مَحْمُودة، وهو شُكرٌ مَسْموعٌ بِكَلِمَةِ الثَّناءِ، وعِبَارةِ الإطْرَاءِ بِدلالةِ التَّخييرِ **(خُيِّرتُ)** في **(البيت الرَّابع): (بحر الكامل)**

٤- فلـو أننـي خُيِّـرتُ مِـنْ دَهْـري المُنـى لاخْتَـــرْتُ طُـــولَ بَقَائِـــهِ وَخُلُـــودِهِ

لأنَّ التَّخييرَ والاختيارَ ومن قبلِه الشُّكر كلّها لأفْعالٍ حَدثها نُطقي مَسمُوع؛ تَتكاملُ بها الصُّورُ السَّمْعيَّةُ المَدحيَّةُ بالجلوسِ والفكاهةِ واللَّفظِ والكَلامِ، ثم الشُّكرِ والتَّخييرِ والاختيارِ.

وقد يَخْتِمُ الشَّاعِرُ قَصَائِدَ المَدِيْحِ بِصُوَرٍ ومواقِفَ تَستَحِيلُها رِسَالةً سَمْعِيَّةً بِدَلَالَاتِها وأَخْيلتِها التي يُلَازِمُها الاعْتِدَادُ بالذَّات؛ إذ يقول[٤٨]: (بحر البسيط)

١- دَعْنِـي وَشِـعْرِي ومَـنْ فـي جَفْنِـهِ مَـرضٌ دُونـــي يُـــزلْ مـــرضَ الأَجفـــانِ تَطبيبـــي

٢- وخُـــذْ شـــواهد مَـــا أمليـــتُ مِـــنْ فِكـــرٍ تُثْنـــي عَلَيْـــكَ بِمَلْفُـــوظٍ وَمَكْتُـــوبِ

٣- فالـــدرُّ يحْسُـــنُ مثقوبًـــا لناظمـــهِ وَحُسْـــنُ لَفْظِـــيَ دُرٌّ غَيْـــرُ مَثْقُـــوبِ

٤- وكُلَّمـــا قِيـــلَ شِـــعْرٌ أَوْ يُقـــالُ فمـــا أَراه إلَّا رَذاذًا مِـــــــنْ شـــــــآبيبي

تُؤَطِّرُ النَّصَّ وحْدةٌ نَسَقِيَّةٌ تَنطَلِقُ عن رُؤْيَةٍ مَعْرِفيَّةٍ تَنْظُرُ إلى الذَّاتِ الشَّاعِرةِ والمَمْدُوْح نظرة شَامِلة بِتعدادِ سِماتِ الثَّانِي في بنيةٍ شِعريَّةٍ **(دعني وشعري ⟵⟶ وخُذْ شَواهِد)** مُحَددةٍ بالأَمْرَينِ **(دعني وخُذْ) الأَوَّل:** طَلَبٌ بالامْتِنَاع عن سَمَاعِ غَيْرِه، والثَّاني: دَعوةٌ صَرِيْحةٌ لِسَماعِ

شِعْرِهِ وتَلَقّيه بِدَلالةِ السّياقِ الَّذي يَتَضَمَّنُ فِعْلَ الإنْشَادِ المُبَاشِرِ في تَلقي النَّصّ المَدحِي؛ لِتُسهم الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ بِبُعدِيها الإشَارِي والمَعْنَوي في تَكْثيفِ الدّلَالَاتِ واحْتِوَاءِ التَّجْرِبَةِ المَدحيَّةِ:

٤- وكُلَّمـــا قِيـــلَ شِـــعْرٌ أَوْ يُقـــالُ فمـــا أَراه إلا رَذاذًا مِـــــــنْ شـــــــآبيبي

*****

ثالثا: جَمَاليَّات الصُّورة السَّمْعيَّة والحَنِيْن إلى المَكَان (الذَّات والانْتِمَاء)

يُغَلِّبُ الشَّاعِرُ (الشَّاب الظَّريف) الشُّعُورَ الوجْدَانِي والإحْسَاسَ، وعَاطِفَةَ الانْتِمَاءِ في النَّظَرِ إلى المَكَانِ بِصِفتِه قِيْمَةً وجُودِيَّةً مُتفرّدةً عَالِقةً في الذِّهْنِ، وتَتَمَلك الوَعِي، وتشغلُ حَيزًا من الذَّاكرةِ؛ ويتَّخذ من المَجَالِ الإدْرَاكِي السَّمْعِي منْفذًا تَعْبيريًّا تَحْكُمُه أُطُرٌ جَمَاليَّةٌ تُمِدُّ رُؤيتَه المَوضُوعيَّة بِمَجموعةِ إجْراءاتٍ تَنْبثقُ عن مُسْتَوياتٍ فِكريَّةٍ واعِية في مُعَالجَةِ الظَّاهِرةِ المَكَانيَّةِ الضَّاغِطةِ على الشُّعُورِ بِصُوَرِها وعَوَالِمَها وأَخْيلتِها؛ بما يَنْسَجِم مع طَبيْعةِ المَواقِفِ الحَدَثِيَّةِ، والمُؤَثِراتِ النَّفْسيَّةِ التي خَضَعَ لها الشَّاعرُ وعَاشَ كُنْهَها؛ "فالمَكانُ حِينما يَكُون مُوضُوعًا جماليًّا متخيلًا يَكْتَسبُ خَاصِيَّة الأثرِ المُبْدِعِ الذي تَؤُول ملكيَّته إلى القَارِئ أولًا وأَخِيرًا؛ فَالشَّاعِرُ لا يُقَدِّم سِوى الإشَارَة إليه في إبْدَاعِهِ، ويَعْمل الاقْتِصَادُ الشِّعْرِي على اخْتِزَالِهَا، وحَذْفِ أجْزَائِها؛ بَيْدَ أنَّ التَّخييلَ يُعيدُ إليها المَحْذُوفَ، ليسَ بالطَّريقةِ الآليَّةِ التي يُمْكن أن نَتصورَها سَرِيعًا، وإنَّمَا بالإضَافَةِ الجَديدَةِ التي لم تَكُنْ للمكانِ من قَبل"[٤٩]؛ والمَكَان – الشَّوق والحَنِين إليه – شكلَّ نَسقًا معرفيًّا وجدانيًّا غَائِرًا في أعْمَاق شَخْصيَّتِه الإنسانيَّة، وهويَّته الإبْداعِيَّة؛ الأَمْرُ الَّذي اسْتَدْعَى اشْتِرَاكَه في بِنَاءِ التَّجْرِبةِ بِمَظان جَمَاليَّةٍ سَمعيَّةٍ تَمَكِنُ المُتَلقِي من الإحْساسِ بِمُجَرداتِه، والاسْتِشْعَارِ بما هو ذِهْني بِإدْخَالِه – عبر البِنيةِ الشِّعريَّة المَكَانيَّةِ ومَنْطِقِها الإبْدَاعِي – في دَائِرَةِ التَّفاعلِ، ومَنْطَقةِ التَّأثِيرِ والانْفِعَالِ بالحسّ، وأمَّا مَجَالُ اشْتِغَالِ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ ضِمنَ البنتينِ الجَمَاليَّةِ والمَوضُوعيَّةِ؛ "فَيرتَبطُ بمادةِ الفِعلِ أي: بِصُورِ المَحْسُوْسَاتِ التي اخْتَزَنَتْها الذَّاكِرَةُ بَعد غِيَابِ المَحْسُوْسَاتِ ذَاتِهَا عن مَجَالِ الإدْرَاكِ المُبَاشِر"[٥٠] اسْتِرْجَاعًا للفَضَاءِ المَكَانِي وفقًا لِمُؤَثراتٍ نَفسيَّةٍ تُهَيْمِنُ على أنْسَاقِ الصُّورِ وتَرَاكِيبِها.

ويُحقق الشَّاعِرُ للصورةِ السَّمْعيَّةِ تَفوّقَها بِمَوهِبَةٍ تُمَكِّنُه من تَكْوِينِ الصُّورِ، وإخْراجِها في نَسَقٍ شِعْرِي مَكَانِي وجْدانِي؛ يُثْبِت له المَقدِرةَ العَاليَّة في تَجْسِيْدِ المَواقِفِ، ويُؤَكِّد له المَكَانَةَ المُتَقَدِّمَةَ بين أقْرَانِه من شُعَرَاءِ عَصْرِه؛ إذ يقول[٥١]: (بحر الكامل)

١- كَـــمْ مَيِّـــتٍ بَعْـــدَ الفِـــرَاقِ حَيَاتُـــهُ فـــي قُـــرْبِ حَـــيٍّ بـــالعَقِيقِ جَميـــعِ

٢- فـــي منـــزلٍ كَهْـــلِ الثمـــارِ مراهِـــقِ الأز هَـــارِ مِـــنْ ثَـــدْي الغَمـــامِ رَضِـــيعِ

٣- عاقَـــتْ سَـــرِيعَ نَســـيمِهِ عذباتُـــهُ بِالميـــلِ فهـــوَ بِهِـــنَّ غَيـــرُ سَـــرِيعِ

٤- عُـــربٌ أعـــاجِمُ ورقُهُـــم تَشـــدوا علـــى أَسْـــمَاعِهِمْ بـــالمَنْطِقِ المَسْـــجُوعِ

يُستغرقُ الشَّاعِرُ في وَصْفِ المَكَانِ/العَقِيْقِ مُصَوِّرًا مؤثثاتِه وتَفَاصِيْلِه مُنْفَعِلًا في سَردِهَا ومُسْتعرِضًا جَمَالَ طَبِيعتِها بأَلْوانِهَا، وحَرَكَاتِهَا، وسَكَنَاتِهَا، ومُظَاهِرِها الكَونيَّةِ بلغةٍ شِعريَّة يَتَعَهدُها المَجازُ، وتَسْرحُ في مَدياتِها المُخيلةُ؛ وصُولًا إلى اسْتِكْشافِ – صُورةٍ من صُوَرِها السَّمْعيَّة الطَّبيعيَّة – ثَابِتةٍ من ثُوابِتِها تَصْرِيْحًا، وليس تَلمِيحًا في **(البيت الرَّابع)** مُرْتكزًا على دِفْقِها المَعْنَوي، وأثرِها النَّفْسي المُسْتَمَدِ من تَمَكُن المَكَانِ/العَقِيْقِ من الوَعِي الجَمْعِي وتَوَافره على إرْثٍ مُمْتَدٍ ذي ارْتِبَاطَاتٍ وُجُوْدِيَّةٍ تَاريخيَّةٍ وعَقَديَّةٍ وانْتِمائيَّةٍ أَحَالَتِ الصُّوْرَةَ السَّمْعيَّةَ الطَّبيعيَّةَ جَامِعًا نَسَقيًّا لثَقَافَاتٍ مُتَعَددةٍ ولُغَاتٍ مُتَبَايِنَة: (بحر الكامل)

٤- عُـــربٌ أعـــاجِمُ ورقُهُـــم تَشـــدوا علـــى أَسْـــماعِهِمْ بِـــالمَنْطِقِ المَسْـــجُوعِ

فَالوُرقُ بارتباطها المَكَانِي اكْتَسبَتْ صِفَةَ العُمُومِ؛ فيُطْرَب لِشَدْوها النَّاسُ، ويَسْتَعْذِبُوا تَرنُمَاتِهَا وألحَانِها مع اخْتِلَافِ أَعْرَاقِهم، وتَبَاعُد مَوَاطِنِهم **(عُرب أعاجِم ورقُهُم)**؛ فكَانتْ عَامِلَ اجْتِمَاع، وعُنْصُرَ إِئْتِلاف، وتَوَاصِل بين الوَافِدين والمُقِيْمِين – ونُقْطة الْتِقَاء محْوريَّة في النَّصِّ– فِيَسْتَقْبِلُون بأَسْمَاعِهِم مَنْطِقَهَا المَسْجُوع؛ لِعُمُوميَّة الصِّفة التي تُحَقِقُ الإِثَارةَ، وتَنَال الاعْتِنَاء؛ وبذلك أَظْهَرَتِ الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ قُدْرَةً كَبِيرَةً في تَقْرِيْبِ المَعَاني الذِّهنيَّةِ والمُجَرَّدةِ، ومَنْحِها إمْكَانيَّةَ الحُضُورِ في الوَعِي؛ الَّذي "يَميلُ بِطَبْعِهِ إلى المَعْرفةِ الحِسَّيَّة، ويَتَجاوَبُ معها أَكْثر من المَعْرِفَةِ الذِّهْنِيَّةِ المُجَرَّدَةِ"[٥٢]؛ فهي وَسِيْلَتُه في البَوْحِ وتَحْقِيْق الاسْتِجَابَتين: (الذَّاتيَّة والغَيريّة)

وتُبْنى الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ على مَنْظُوراتٍ ذَاتيَّةٍ مُصَاحِبةٍ لِمَضَامِينِ المَكَانِ ومُرَشِّحَاتِهَا وأَنْسَاقِها، فـ "تكون تَشكيلًا نَفسيًّا قبل أن تَكونَ تشكيلًا طَبيعيًّا"[٥٣] شِعْريًّا لِلمَادة الحِسِّيَّة؛ بما يَنعكِسُ ضِمْنَ مَدياتِها، وارتِدَاداتِها الشُّعُوريَّةِ الانْتِمَائيَّةِ، وما يُرَافِقُهَا من أَحْوَالٍ نَفْسيَّةٍ، ومَشَاعِر الشَّوقِ والحَنِينِ والشَّكْوى، وما يَتَخَلَّلُها من مُنَاجَاةٍ، ونِدَاءٍ، واسْتِفْهَامٍ، وحِوَارٍ تُحَاكِي في سِيَاقِها الشُّعُورَ والوجْدَانَ؛ إذ يقول[٥٤]: (بحر الطويل)

١- أَرَاكُ الحِمَـــى لمـــا شَـــدتْهُ السَّـــواجِعُ تَثَنَّـــى كَمـــا هَبَّـــتْ عليـــه الزَّعـــازِعُ [٥٥]

٢- فأَطْرَبَـــهُ مِـــنْ شَـــدْوِهَا لَحْـــنُ ســـاجِعٍ يَنُـــوحُ عَلـــى أَحْبَابِـــهِ فهـــوَ سَـــاجِعُ

٣- فَسِـــرُّ الهَـــوَى لِلصَّـــبِّ بالـــدَّمْعِ ذائـــعٌ كَمَـــا قَلْبُـــهُ بَـــيْنَ المَحَامِـــلِ ضـــائِعُ

تَستَنِدُ الأَبياتُ على إيْقَاع شِعْرِي مُتَجَانِس وَاع يَتَمَثَّل في إيْقَاعِ القَافِية؛ يَبُثُّ به الشَّاعِرُ شُجُونَه بِتَنَاغُمٍ صَوْتِي بين أعَارِيْضِ الأَبْيَاتِ الثَّلاثَةِ:(السَّواجِعُ، سَاجِعٍ، ذائعٌ) وضُرُوْبِهَا:(الزَّعازِعُ، سَاجِعُ، ضائِعُ) مُكَوِّنَةً وحْدَةً نَغَمِيّةً صَوتِيَّةً تُعزز البنيةَ الدّلاليَّةَ للصورةِ

السَّمْعيَّةِ الغَالِبَةِ في النَّصّ والمُستقرة في بُنَاه وتَرَاكِيْبِه؛ إذْ تُفتَتَح اللُّوحَةُ السَّمْعيَّةُ المَكَانيَّةُ بِمُؤَثث من مُؤَثثاتِ الحِمَى (الأرَاك) وهو اخْتِيَارٌ شِعْرِي بَصَرِي شَمّي؛ يذيعُ به الشَّاعِرُ رُؤْيَتَه ومَنْطِقَه، ومُجَرَّدَاتِ وَعْيه، واحْتِمَالاتِ ذِهنه بِمُؤَثِرَاتٍ سَمْعيَّة تَدُلُّ عليها مَصَادِرُها في التَّأْثِيْث المَكَاني (سَاجِع، والزَّعازع، والسَّواجِع)، والأَفعالُ الحَدَثِيَّة الحَامِلة للصورةِ والمُفهمة بِدَلَالَاتِها (شَدَت، تثنى، هَبَّت، أطرب، يَنُوح)، وهي أَحْدَاثٌ مُتَبَاينةٌ في الزَّمَنِ، ومُتَفَاوِتةٌ في التَّدْلِيلِ على القِيْمَةِ، ومَرَاتِبها وتَدرجَاتها؛ انْطِلَاقًا من التَّوظِيْفِ الجَمَالِي الَّذي اعْتَمَدَ اعتمادًا محْوريًّا على الاخْتِيَارات: (شَدا، أَطْرب، يَنُوح)؛ لأنَّهَا تُحَقِقُ اسْتِجَابة حِسَّيَّة عَالِية وموجهة؛ تُفضي إلى سِعاتٍ دلاليَّة تُحَدد مَسَارَ القِرَاءَة النَّقْدِيَّة التي تَذهَبُ إلى أنَّ الشَّاعرَ حمَّل الصُّورةَ السَّمْعيَّةَ أبعادًا رَمْزِيَّةً ابْتَعَدَتْ بها عن المُؤدَّى السَّطْحِي للوحْداتِ اللُّغويَّةِ السَّمْعيَّةِ؛ بما يُحَقِّق تَمَاهِيا نَفْسيًّا يَدْفَعُ إلى القُولِ: إنَّ السَّاجِعَ هو الشَّاعِر النَّائِح حُزنًا – بالإِحْلَالِ الشِّعْرِي والانْزِيَاحِ الدّلَالِي– يُطْرَبُ له (أراكُ الحِمى) الَّذي بَدا فَاعِلًا في الصُّورة مُنْفَعِلًا بِسَيَاقِها؛ بِدَلَالتِه المَعْنَويَّةِ القّارةِ في الوَعي، وهنا يَكُونُ التَّواصُلُ بين الشَّاعِرِ والمَكَانِ تَواصُلًا رُوْحِيًّا جَعَلَ جَمَادَاتِها تُطْرَبُ لأَشْعَارِه، وتَغْتَبِط لأَلْحَانِه، وهي صُورةٌ سَمْعِيَّةٌ بِمُوَازَاةِ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ للسواجِعِ.

ولَعَلَّ اللُّجُوءَ إلى تَقْفِيَةِ صُدُور الأَبْيَاتِ يَرتَبِطُ بِعَلَائِق الاتِّسَاق والانْسِجَام مع البنيةِ الجَمَاليَّةِ للصورةِ السَّمْعيةِ؛ "وعلى وفقِ ذلك تَكُون العَلاقَةُ وَطِيْدَةً بين الإِيْقَاعِ المُنْتَخَبِ والصُّورةِ الحِسِّيَّة الحَاملة له؛ لأَنَّ كليهما يَنبَعانِ من الوجدانِ ... ويُؤَسِسَان لوحدةٍ مُتَكَامِلةٍ بين اخْتِيَار الإيقاعِ واختيارِ الصُّورةِ الحِسِّيَّةِ وصُولًا إلى مَنْحِ قَصديَّة النَّصّ الشِّعْرِي هويتَها"[٥٦] فـ "كلُّ سَجْع قَصْدٌ، والسَّاجِعُ: القَاصِدُ ... وأَصْل السَّجْعِ: القَصْدُ المُسْتَوي على نسَقٍ واحِدٍ"[٥٧]؛ إذْ بَدَتِ الأَبْيَاتُ في اتِّجَاهٍ نَغَمي واحِدٍ يُنْجِزُ مُوسِيْقَاه "التَّرصيع"[٥٨]، كما هو الحَالُ في سَجْعِ الحَمَام السَّواجِعِ، وهَدِيرها بِصَوتٍ نَدي مُتَفِقٍ مُتَشابِه على (أراك الحمى)؛ فالشَّاعِرُ سَاجِعٌ كَالحَمَام في صَدر **(البيت الثَّاني)** وسَاجِع في حَنِينِه للمَكَان كالنَّاقَةِ إذا سَجَعَتْ: "أي مدَّت حَنِينَهَا على جِهةٍ واحدة"[٥٩]؛ (فهو سَاجِعُ) أَخَذَهُ الحَنِين، وغَلَبَه الشَّوْقُ في عجزِ **(البيت الثَّاني)**.

وتزْدَادُ المُخيلةُ الشِّعريَّةُ فاعليَّةً وعُمقًا بِتَأْثِير الغُربَةِ المَكَانِيَّةِ، ووَطْأَةِ الاغْتِرَابِ النَّفْسِي، ويَسْتَمِرُّ حُضُورُ المَكَانِ في المَضَامِين بِأُطُرٍ حَقِيْقيَّةٍ ومَجَازِيَّةٍ بانْتِدَاب مُخاطَبِينَ حَقيقيينَ أو مُتخَيلينَ في البنيةِ الشِّعْرِيَّةِ السَّمْعيَّةِ للمَكَان؛ "لتَعْكِسَ في خَيالِ المُتَلقي مَشاهِده المَحْسُوسَة إلى دَرَجَة تَجْعَل المُتَلقي يَشْعُرُ أنَّه في حَضرةِ المَشهدِ نفْسِه ويُعَاينه"[٦٠]؛ وفي ذلك مَدعَاة لبثِّ لَوَاعِجِ الشَّوقِ، وإرْسالِ خَوَاطِرِ الحَنينِ؛ إذْ يقول[٦١]: (بحر الكامل)

١- هَـلْ غِيـثَ رَبْـعُ الحَـيّ بَعْـدَ مَـدامِعي أَمْ أَمْسَـكَتْ عَنْـهُ يَـدُ الأَنْـوَاءِ

٢- أَحْبَابَنـا قُضِـي الفِـرَاقُ وَلِـي يَـدٌ لِفِـرَاقِكُمْ لَكِـنْ علـى أَحْشَـائِي

٣- فَمُـرُوا الرّيَـاحَ بِـأنْ تَقُـصَّ حـديثَكُمْ عِنْـدي فَمَـا يُبْـدِي الكِتَـابُ شِـفَائِي

٤- ودَلِيـلُ ذلـك أنَّ طَرْفِـي غاسِـلٌ قَبْـلَ القِـرَاءَةِ نَقْشَـهُ بِبُكـائي

يَأْتِي الحَنِينُ إلى المَكَانِ في النَّصِّ حَدَثا وجْدَانِيًّا محوريًّا تَنْبثق عنه البنى الجَمَاليَّةُ، وتُؤَطِّرُ فاعليَّته النَّفْسيَّةَ أسَاليْبُ شِعرِيَّةٍ تَتداخَل في رَسْمِ صُوَرٍ عَقْليَّة ذهنيَّة؛ إذْ يُؤَدي الاسْتِفْهَامُ بالحَرف (هل) في البنية النَّصيَّة المَكَانيَّة التي تَتوسطها (أم) المُعَادلةِ الدَّالةِ على شُعُورٍ مُفعمٍ بالحُزن يَتَمَلك الذَّات وَظِيْفَةً شِعْرِيَّةً انْفِعَاليَّةً بِالجَمْع بين (المَدامِع والأَنْوَاء) في الحَي/المَكَان المُسْتَفْهَم عن تَفَاصِيْله؛ فهو مَرْتَعُ الصِّبا ومَوْطِن الأَحْبابَ ممن قُضي بِفِرَاقِهم والتَّغَرب عنهم؛ "ولذلك فإنَّ السُّؤَال والاسْتِفهام يُشَكِّل المَادة الأساسِ في شِعْر الشَّاعِر، ويَدْفَعه إلى القَصد كَيما يَنْسَجم الجَانِبان والشَّاعر والمُتَلقي للتفاعل مع الشِّعْرِ، وهو ما يَتعَلَّق بالرَّافِد الاجْتِمَاعِي"[٦٢] للصور السَّمْعيَّةِ المُتَمركزةِ في الذّاكِرةِ، والحَاضِرةِ في الوَعِي؛ الأَمْر الَّذي أَدْخَل الشَّاعِرَ في عَوَالِم الحسّ التِمَاسًا لقِيَمِه، والإفَادَة من قُدِرَاتِه التَّصويريَّةِ وتَطْوِيْعِها في (البيت الثَّالث) بأسْلُوب الأَمْرِ (فمروا) الرِّيَاحَ التي مَثَّلَتْ بُؤْرَةً شِعريَّةً فَاعِلةً في تَأْدِيةِ المَعْنَى بالصُّورةِ السَّمْعيَّةِ؛ وجَعَلَ الشَّاعِرُ منها مَأمُورًا شعريًّا، ونَاقِلًا للانْفِعَالَاتِ يُعوَّلُ عليه، وأَسْند إليه مَهَامَ شِعريَّةٍ تُصوِّر مُعَانَاةً وجُودِيَّةً، ودَقَائِقَ وَاقِعيَّة؛ إذ تُشِيرُ الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ بِأَرْكَانِها، وبِنْيَتِيها اللُّغويَّةِ والجَماليَّةِ إلى انْقِطَاعٍ تَامٍّ، وفِراقٍ لا اجْتِماع بَعَدَهُ، يُفسِّرهُ اللُّجُوءُ إلى الرِّيَاحِ، والاسْتِمَاع إلى حَدِيْثِها، وما تَقصُّ من خَبَرِ الحيّ، وما تَرْوِي من أَحْوَالِه؛ لأَنَّ الشَّاعِرَ قَدَّمَ الاسْتِقْبالَ السَّمْعِي على المُعَايَنَةِ بالنَّظَرِ إلى الكُتبِ وقِراءَتِها: (بحر الكامل)

٣- فَمُـرُوا الرّيَـاحَ بـأنْ تَقُـصَّ حـديثكمْ عِنْـدِي فَمَـا يُبْـدِي الكِتَـابُ شِـفائي

وهنا تَكْمُنُ محوريَّةُ الصُّورةِ السَّمْعيَّةِ في تَحْقِيقِ الاسْتِجَابةِ بالتَّقابل الشِّعْرِي بين وسِيْلَتِين للتواصُل بين الشَّاعِرِ، وأَحْبَابِه في الحَيّ/المَكَان مبديًا الرَّغْبَةَ في الأُوْلى، ومُقللًا من نَجَاعة الثَّانية مُسْتَدلًا بأنَّ الكِتابَ لا يُبْدي له الشِّفاء، وأنَّ طَرفَه غَسلتْه الدُّمُوعُ بُكاءً من قبل القِراءةِ فتَعذَّرَ فِعْلُها.

ويُنَادِي الشَّاعِرُ (الشَّابُ الظَّريفُ) سَاكِنِي (جُلَّق/دمشق) نِداءً يُشْعِرُ المُتَلَقي بِهَيْمَنةِ الشَّوقِ إليها، والحَنِين إلى أهلِها على وعْيه، وسَطْوَتِهِمَا على جَوَارِحِه؛ فَرَاحَ يَسْتَحْضِرها بِمَجْمُوْعَةِ مَدَارك تُعبِّرُ عن أَحَاسِيْسِه، وتَكْشِفُ عن تَواصُلِهِ العَقْلي والحِسّي معها مُقدِّمًا المُؤَثِّرَ السَّمْعِي على البَصَرِي بِإِجْراء شِعْرِي جَمَالِي وَاعٍ ذِي أبْعَاد نَفْسيَّة؛ إذ يقول[٦٣]:(بحر البسيط)

١- يَـا سَـاكِنِي جُلَّـقٍ قَـدْ طَـابَ عِنْـدَكُمُ نَشْـرُ الفَـرَادِيسِ فـأُتُوا الصَّـبَّ بـالفَرَجِ

٢- بَـابُ السَّـلامةِ مـردودٌ لِعَاشِـقِكُمْ والنَّصرُ[٦٤] مِنْكُمْ عَلَيْه في الهَوَى الحَرج

٣- طَابَــتْ بِــذِكْرِكُمُ الــدُّنْيا بِأَجْمعِهَــا لِمَــا تَحمَّــل مِــنْكُمْ عَــاطِرِ الأَرَجِ

٤- أَنْــتُمْ وأَنْــتُمْ وأَنْــتُمْ مَسْــمَعِي نَظَــرِي قَلبِــي فــإن تَرتضــوا مــا قلــتُ يــا فَرَجِــي

يُتْبِع الشَّاعرُ النِّداءَ **(يَا سَاكِنِي جُلَّقٍ)** بِصُورٍ حِسِّيَّة يَسْتَعِيدُ بها ذِكرياتِه في أَحَيَاء دمشق وضَوَاحِيْهَا، ويَسْتَرجِعُ مَحَطَّاتٍ من أيَّامِه في أَمَاكِنِهَا التي يَتَلذذ بِنَشْرِها، وتَحْلو الدُّنْيا بالحَدِيْث عن أَهْلِها مُعَلِلًا؛ بأنَّها تَحْمِلُ أَرَجهم العَاطِر الزَّكي رِوَايَةً سَمْعيَّةً، وهنا تُمَثِّل الصُّورةُ السَّمْعيَّةُ بُؤرةً نَصيَّةً تَرَكَتْ أثرًا واضِحًا في النَّصّ؛ بِجَعْل الذِّكْرِ بِفِعْلِه الكَلَامِي وصِفَته الحِسَّيَّةِ مَصْدرًا لاسْتِجْلَاء جَمَاليَّاتِ المَكَانِ: (بحر البسيط)

٣- طَابَــتْ بِــذِكْرِكُمُ الــدُّنْيا بِأَجْمعِهَــا لِمَــا تَحمَّــل مِــنْكُمْ عَــاطِرِ الأَرَجِ

فهو وسِيْلةُ الشَّاعِرِ في التَّعْبِيرِ عن عِشْقِهِ للمَكَان، وتِعْدَاد شَمائِل أَهْلِه ببنيةٍ جَمَاليَّةٍ تَعْتَمِدُ التَّوْكِيدَ في **(البيت الرَّابع)** بِتِكْرَار ضَمِيرِ الجَمْعِ الظَّاهِرِ المُنْفَصِلِ(أَنْتُمْ) لِلَفْتِ الانْتِبَاه، واسْتِجْلَابِ الذَّائقةِ، وتَوْثِيقِ الصِّلَةِ بالمَكَانِ وسَاكِنِيهِ، فضلًا عن تَحْقِيْقِ إِيْقَاعٍ مُؤَثِّرٍ ذي نَغَمٍ مَكْرُورٍ مُتَنَاسِقٍ في الإِنْشَادِ؛ ليَسِتَضِيء بالقَبَسِ القُرْآنِي وفِيْضِه النَّافِذِ مُتَدَبرًا أَوْلَوِيَاتِه وأَنْسَاقِهَا في نَظْمِه المُعْجِزِ من قوله تَعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦ [٦٥] بِتَوظِيْفِ تِقانة التَّدَلِي:

السَّمْعَ ⟵ مسمعي

الْبَصَرَ ⟵ نظري

الفؤاد ⟵ قَلْبي

ولَعلَّ الابْتِدَاء بِالسَّمْعِ وجَعْله أَوَّلَ مَرغُوبٍ وأَخَصَّ مَطْلُوبٍ في التَّعْبِير عن الارْتِبَاط بالمَكَان له مُسوغَاتِه ودَوَاعِيه في مُقَدِمَتِهَا التَّغَرُّب الَّذي صَيَّر التَّواصُلَ بالصُّورةِ السَّمْعيَّةِ بَدِيْلًا – مَنْطِقيًّا، وأداةً وَاقِعيَّةً مُتَاحَةً – عن التَّواصُلِ بالصُّورةِ البَصَرِيةِ، فضلًا عن قَابِليَّةِ الصُّوْرةِ السَّمْعيَّةِ في اسْتِيعَاب الخَوَاطِر، وتَجْسِيد الأَخْيلةِ، ومِيْلِها للإِيْجَازِ البَلِيغِ واقْتِصَادِ العِبَارة وتَكْثِيفِها، وأَثَرِها في المُتَلَقي، وهي عَوَامِلُ جَعَلَتْهَا مَرْكزًا تَتجهُ إليه الرُّؤى المَوضُوعِيَّةُ؛ لتَسْتَمِدَ من فِيْضِهَا الحِسّي عَنَاصِرَ الإِبْدَاعِ، ومن أَلَقِها مَوَاطِنَ الجَمَالِ، ومن اتِّسَاقِ نَظْمِهَا تَكَامُلَ البِنَاء، وتَمَاسكَ الأَجْزَاء.

ويَقرنُ الشَّاعِرُ بين نِدَاءِ القَطْرِ؛ ليَعُمَّ المَكَان ونِدَاء الوُرْق/الأَطْيَار؛ لتَترنَمَ فيه، ونِدَاء رِيْحِ الصَّبا؛ لتَمُرَّ عليه بنَفَحَاتِها في بِنْيَةٍ شِعريَّةٍ جَمَاليَّةٍ تَشْتَرِكُ الصُّوْرَةُ السَّمْعيَّةُ في إِنْضَاج موقِفِها؛ إذ يقول[٦٦]: (بحر الكامل)

١- يــا قَطْــرُ عُــمَّ دِمَشْــقَ واخْصُــصْ مَنْــزِلًا فِــــي قَاسِـــيُون وَحلِّـــهِ بِنَبَـــاتِ

٢- وَتَرَنَّمـــي يـــا وُرْقُ فِيـــهِ ويـــا صَـــبَا مُـــرِّي عَلَيْـــهِ بِأَطْيَـــبِ النَّفَحَـــاتِ

٣- فِيـــه الرِّضَـــى فِيـــه المُنـــى فِيـــه الهُـــدى فِيـــهِ أُصُـــولُ سَـــعَادَتي وَحَيَـــاتي

يَرتَبِطُ المُدْرَكُ السَّمْعِي بِصُورتِه الطَّبيعيَّةِ الحيَّةِ المُتَمَثِّلةِ بالوُرْقِ الصَّادِحَةِ بِصِفتها ثَابِتةً مَكَانِيَّةً وَاقِعيَّةً، وقِيْمَةً شِعريَّةً تُرَاثِيَّةً يتَّخِذُها الشَّاعِرُ بُؤْرةً مَوضُوعيَّةً ومَصْدرًا سَمْعيًّا في اسْتِشْعَارِ صِلتِه بالمَكَانِ، وارْتِباطِه الحِسِّي بمؤثثاتِه ومُنْتَمَياتِه؛ بـ "إخضاعِ الطَّبِيعَةِ لِحَرَكةِ النَّفْسِ وحَاجَتِها؛ وعندئذٍ يأخُذُ الشَّاعِرُ كلَّ الحَقِّ في أَن يُشَكِّل الطَّبِيعةَ، ويَتَلاعَبَ بِمُفْرَدَاتِها وبِصُوَرِها النَّاجِزَةِ كذلك كَيفما شَاء ووفقًا لِتَصُورَاتِه الخَاصَّةِ؛ إذا رأى أنَّ هذا هو .. الأسْلُوب الأَصْدَق في التَّعْبِيْرِ عن نَفْسِهِ"[٦٧] واسْتِجلاءِ مَكْنُونَاتِ ذَاتِهِ.

وتَظْهر عِنَايةُ الشَّاعِرِ بالصُّورةِ السَّمْعيَّةِ بالنِّدَاءِ الشِّعْرِي – الدَّالِ على الذَّاكِرةِ والبُعْدِ والاسْتِغَاثة – لثَوابِت مَكانيَّة طَبيعيَّة غير حيَّةٍ وهي: (القَطْر، ورِيْحِ الصَّبَا)، وطَبِيْعيَّة حيَّة وهي: (الوُرْق)، ويُؤَشِّر النِّدَاءُ بِوَصْفه فِعْلًا سَمْعيًّا، فضلًا عن المُنادى، وتَوافُره على المَضْمُون السَّمْعي بشكل مُبَاشِر (وَتَرَنَّمي يا وُرْقُ فيهِ) عَلَاقة تَتسم بالدَّيْمُومَة بين المَكَان والكَائِن فَاعِل الصُّورة أو غير مُبَاشِر(يا قَطْرُ عُمَّ دِمَشْقَ، ويا صَبَا مُرِّي عَلَيْهِ) بِحُضُور – للظاهِرة الطَّبيعيَّة في المَكَان – لا يَتسم بالاسْتِمْرَارِيَّةِ،"وكانتْ مُخَاطَبةُ الكَائِنَاتِ الحَيَّة والجَامِدة على السَّواءِ من أهم وسَائِله في التَّصويرِ؛ إذ كَثُر في شِعْرِه ما يُمْكِن تَسْمِيَته بالنِّداءِ الاسْتِعَاري" [٦٨]، وهذا يُؤَكِّدُ الدَّورَ المحْوَرِي للصورةِ السَّمْعيَّةِ في تَصْوِير المَوقِف النَّفْسي للشاعِر، والإعْلَان عن طَبِيْعَة العَاطِفَة، ونَوْعِها تِجاه المَكَانِ، ودَرَجتِهَا التي صَرَّح بها في (البيت الثَّالث) ببنى شِعريَّةٍ مَسْجُوعةٍ أَقَامَها دَلِيْلًا فَسَّرَ فيه دَوَاعِي الطَّلبِ الشِّعْرِي الَّذي يَنُصُّ على أَثَرِ المَكَانِ، وصُوَرِه الذِّهنيَّةِ؛ بِجَعْل رِضا النَّفْسِ، ومُنَاهَا، وهُدَاهَا في المَنْزِلِ المَخْصُوص بالقَطْر/الغَيْث، وصَيَّرَ فيه أُصُوْلَ سَعَادتِه ومَسَرَّاتِ حَياتِه.

*****

الخاتمة (تحصيل وعرض)

– كشفَ الشَّاعرُ(**الشاب الظَّريف**) عن عَوالِمِه الذِّهنيَّةِ بِمُجَرَّدَاتِهَا ومَعْقُولَاتِهَا بمُدْرَكات حِسيَّة سَمْعيَّة بأداءٍ جَمَالِي يَسْتَقْدم الصُّورةَ السَّمْعيَّةَ اسْتقدامًا ذرائعيًّا يَتَّصل بِوعُيه الشِّعْرِي، ويُؤَكِّد قُدْرَتَه على الاخْتِيَار المُعْجَمي، ومَهَارَتَه في تَكْوِين البِنَاء التَّرْكِيْبي للصورة.

– يُجَلِّي الشَّاعِرُ بالصُّورةِ السَّمعيَّةِ مَسَاراتٍ موضوعيَّة وَاقِعيَّة لا يَلتزمُ بحرفيتِها، مُعولًا على تَجاورِها في التَّعاقبِ النَّصي، والسَّبكِ الفَنّي المُنجزِ المُذاعِ بِمُتَخَيَّلاتٍ ذِهنيَّةٍ تَتَمَاهى معها في مَنْظُورِهَا المَوضُوعِي شِعْريًّا.

– تؤلِّفَ الصُّورةُ السَّمعيَّةُ وحْدةً شعوريَّة حَاضِرة ذات قُدْرَة على تَجْسِيْدِ المَواقفِ، وتَحْرِير الانْفِعَالَات بِصُوَرٍ تُلحقُ بالقِيْمَةِ الحِسِّيَّةِ السَّمْعيَّةِ إِلْحَاقًا جَمَاليًّا يُوَضِّحهَا ويُبَلْوِرَهَا، بما يرشَح من قيم عن المَحْسُوْسَاتِ المَسْمُوعَةِ، ودَوَائِرها المُتَعَدِدةِ، وتَكُونُ صَادِرةً عن تَفْصِيلَاتِها، ومنبثقةً عن حَلْقَاتِها؛ لتُلملمَ أَطْرافَها المُتَرامِية المُمْتَدة في بُؤرةٍ مَوضُوعيَّةٍ استِكمالًا للمَعْنَى وتَدْعِيمِه؛ ليَؤُولَ مَادَّةً شِعْريَّة مُتَدَفِّقة مُعَبِرة ومُحَمَّلة بالمَعاني والأَخْيلةِ.

– تَعْلقُ الصُّورُ السَّمْعِيَّةُ النَّاجِزَةُ المُرسَلةُ بِكلِّ جُزْئِيَّاتِها بالذِّهْن والمُخَيلة، ولا تَنْفَصِل عن الوَاقِعِ بِصِفَتِه المُحَرِّكَ الأَوَّلَ لتَشْكِيْلِها؛ وهذا يُؤَكِّدُ تَغَلْغُل المُدْرَك في البِنى الشِّعريَّة وَسِيلةً لِتَلقي المَضَامِيْن التي قد يَكُونُ إِخْراجُها في إطارٍ آخَرَ غيرَ مُمْكِنٍ.

*****

الهوامش:

(١) الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيد لأبي علي مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ)، تَحقيق: سيد كسروي: ٢٦٣.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تَحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجه: ٢٩-٣٠.

(٣) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور: ٣٥٠.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٢٨.

(٥) سورة مريم الآية: ٣٨.

(٦) سورة السجدة الآية: ٩.

(٧) الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيد لأبي علي مسكويه: ٢٦٣.

(٨) القوة العقلية الحواس الخمس، مايكل هانز، ترجمة: د. عبدالرحمن الطيب: ٣٠٩.

(٩) القوة العقلية الحواس الخمس: ٣١٠.

(١٠) مبادئ النقد الأدبي، ا.أ. ريتشاردز، تَرجمة: محمد مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض: ١٧٠.

(١١) الصورة الفنية معيارا نقديا – منحى تَطبيقي على شعر الأعشى الكبير، عبد الإله الصائغ:١٠٧.

(١٢) دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني، د. صباح عباس عنوز:١٩.

(١٣) الصُّورة السَّمْعيَّة في الشعر العربي قبل الإسلام، د. صاحب خليل ابراهيم: ٧٩.

(١٤) الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي علي صبح:١١٠.

(١٥) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني المعروف بالشاب الظريف، شاعر مترقق، مقبول الشعر. وأبوه عفيف الدين التلمساني الشاعر، ولد بالقاهرة سنة (٦٦١هـ) وَكانَ فِيهِ لعب وَعشرَة وملاحة؛ وظرافته لا تنكر؛ لأنه كان ينعت بالشاب الظريف، ولي عمالة الخزانة بدمشق وَمَات فيها شَابًّا سنة (٦٨٨هـ)، تنظر ترجمته في: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (ات: ٧٦٤هـ)، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى:٣/ ١٠٩. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو:١٢٦. الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ):٦/ ١٥٠.

(١٦) الأدب في بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك، د. عمر موسى باشا: ٤٤٧.

(١٧) فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، د. حبيب مونسي:١٣٣.

(١٨) ديوان الشاب الظريف: ١٠٦.

(١٩) الحِنْثُ في اليَمِينِ: نَقْضُها والنَّكْثُ فيهَا، وهوَ من الحِنْثِ: الإِثْمُ، ينظر: لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ) (مادة: حنث):٢/ ١٣٨.

(٢٠) ديوان الشاب الظريف: ١٠٦-١٠٧.

(٢١) ديوان الشاب الظريف:١٦٠.

(٢٢) ديوان الشاب الظريف:١٩٦.

(٢٣) الصوت ودلالته في شعر عفيف الدين التلمساني، خليل بن دعموش، (بحث منشور):٤٢٤.

(٢٤) ديوان الشاب الظريف:١٣٢.

(٢٥) ديوان الشاب الظريف:٢١٣.

(٢٦) ديوان الشاب الظريف: ٢٦٧.

(٢٧) الصُّورة السَّمْعيَّة في الشعر العربي قبل الإسلام:٢١.

(٢٨) ديوان الشاب الظريف: ٢٤٧.

(٢٩) ديوان الشاب الظريف: ٢٣٥.

(٣٠) التدلي: (من البديع لدى ذكر المتعدّدات من جنس أو نوع أو صنف واحد، إذا كان بينها تَفاضل في الدَّرَجات أو المراتب، أن تَذْكر إمَّا من الأدنى إلى الأعلى تَرَقّيًا، أو من الأعلى إلى الأدنى تَدلّيًا، ينظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي:٢/٤٦.

(٣١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد: ١٥٧.

(٣٢) ديوان الشاب الظريف: ٣٢٦.

(٣٣) ظاهرة التكرار في شعر الشاب الظريف، صفاء عبدالله موسى الشديفات، رسالة ماجستير (غير منشورة) بإشراف الدكتور عبد الرحمن الهويدي: ٦٤.

(٣٤) ديوان الشاب الظريف:٢٤٥- ٢٤٦.

(٣٥) الصُّورة السَّمْعيَّة في الشعر العربي قبل الإسلام: ٧٩.

(٣٦) ديوان الشاب الظريف:١٤١.

(٣٧) وَكَفَ المَاءُ سال والوَكِيفُ القَطْرُ نَفْسه، وَشَاةٌ وَكُوفٌ: غَزِيرة اللَّبَنِ، ينظر: لسان العرب، (مادة: وكف):٢/ ٣٦٢- ٣٦٣.

([٣٨]) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس: ٥٥٣.

([٣٩]) نقد الشعر، ابو فرج قدامة بن جعفر البغدادي، (ت٣٣٧هـ): ٢١.

([٤٠]) مفهوم الشعر في التراث النقدي، جابر عصفور: ٣٥٤-٣٥٥.

([٤١]) ديوان الشاب الظريف:١٤٤.

([٤٢]) خاص الخاص، أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تَحقيق: حسن الأمين :١٣.

([٤٣]) ديوان الشاب الظريف:٢٥٠.

([٤٤]) ديوان الشاب الظريف:٢٥٢.

([٤٥]) ديوان الشاب الظريف:٢٥١

([٤٦]) ديوان الشاب الظريف:٩٠.

([٤٧]) ديوان الشاب الظريف:١٤٣-١٤٤.

([٤٨]) ديوان الشاب الظريف: ٨٧.

([٤٩]) فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية:١٣١.

([٥٠]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور:٨٥.

([٥١]) ديوان الشاب الظريف:٢١١-٢١٢..

([٥٢]) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب: ٤٣٩.

([٥٣]) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل : ٥٧.

([٥٤]) ديوان الشاب الظريف :٢٠٢.

([٥٥]) الزعازع: الريح التي تَزَعزِعُ الأَشياء، ينظر: لسان العرب: (مادة: زعع):١٤٢/٨.

([٥٦]) دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني:٤٢.

([٥٧]) لسان العرب (مادة: سجع):١٥١/٨.

([٥٨]) الترصيع: أن تَكون أجزاءُ البيت مسجوعةً، ينظر: البديع، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز(ت٢٩٦هـ) :٤٤.

([٥٩]) الصحاح تَاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ) :١٢٢٨/٣.

([٦٠]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب:٣٦٦.

([٦١]) ديوان الشاب الظريف:٣٤.

([٦٢]) الصُّورة السَّمْعيَّة في الشعر العربي قبل الإسلام:٢١.

([٦٣]) ديوان الشاب الظريف:١١٠-١١١.

([٦٤]) الفَرَادِيسِ، والفَرَجِ، والسلامة، والنَّصرُ من أبواب دمشق الثمانية، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت ٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس: ٢٤٠.

([٦٥]) سورة الإسراء من الآية: ٣٦ .

([٦٦]) ديوان الشاب الظريف:٩٩-١٠٠.

([٦٧]) التفسير النفسي للأدب: ٥٧.

([٦٨]) التصور الفني في شعر الشاب الظريف، دعاء يحيى عامر الموسوي، رسالة ماجستير، (غير منشورة):

.٨٩

المصادر والمراجع

- الأدب في بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك، د. عمر موسى باشا، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- البديع، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز(ت٢٩٦هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١،١٤١٦هـ /١٩٩٦م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٤،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
- التصور الفني في شعر الشاب الظريف، دعاء يحيى عامر الموسوي، رسالة ماجستير، (غير منشورة) بإشراف الدكتور فالح كامل اسكندر المنصوري، كلية الآداب جامعة البصرة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م
- التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل. دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، ط٤، (د.ت).
- خاص الخاص، أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تَحقيق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).
- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، ودار البحار، بيروت، لبنان، (د.ط) ٢٠٠٤م.
- دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني، د. صباح عباس عنوز، وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين، كربلاء، العراق، ط١,١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- لروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت ٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م.
- الصحاح تَاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

– الصوت ودلالته في شعر عفيف الدين التلمساني، خليل بن دعموش، (بحث منشور)، مجلة المَخْبَر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري– جامعة بسكرة. الجزائر، ع ١٣، ٢٠١٧م.
– الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي علي صبح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
– الصُّورة السَّمْعيَّة في الشعر العربي قبل الإسلام، د. صاحب خليل ابراهيم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
– الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٢م.
– الصورة الفنية معيارا نقديا – منحى تَطبيقي على شعر الأعشى الكبير، عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.
– ظاهرة التكرار في شعر الشاب الظريف، صفاء عبدالله موسى الشديفات، رسالة ماجستير (غير منشورة) بإشراف الدكتور عبد الرحمن الهويدي، جامعة آل البيت، كلية الآداب، المملكة الأردنية، ٢٠٠٩م.
– فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، د. حبيب مونسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط) دمشق، ٢٠٠١م
– القوة العقلية الحواس الخمس، مايكل هانز، ترجمة: د. عبدالرحمن الطيب، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان المملكة الأردنية، ط١، ٢٠٠٩م.
– لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط.٣، ١٤١٤هـ.
– مبادئ النقد الأدبي، ا.أ. ريتشاردز، تَرجمة: محمد مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
– مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
– مفهوم الشعر في التراث النقدي، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٥م.
– منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تَحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٦م.
– نقد الشعر، ابو فرج قدامة بن جعفر البغدادي، (ت٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.

- الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيد لأبي علي مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ)، تَحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (ات: ٧٦٤هـ)، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (د. ط)،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، سوريا، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

The Aesthetics of the Aural Image in the Poetry of Ash-Shab Az-Zareef (died in ٦٨٨ A.H.)

Asst. Prof. Dr. Miqdad Khaleel Qasim Al-Khatooni

Abstract

The aural image has a significant structural importance and a wide semantic role that accompanies the creative vision in the poetic text. It is an important aesthetic source of Ash-Shab Az-Zareef's experience Apart from establishing poetic stances, the aural image contributes in rooting aesthetic artistic values. The poet benefits from the aural percept and resorts to employ it to form images showing his meanings, and portraying his imagination. The poet is fully aware of the impact of sense on self, its force in revelation, its contribution in forming poetic significance which, in turn, affects the aural image which is objectively received in three domains: love , praise and place longing.